1

أخبار غريبة وأسرار عجيبة

غزو الأشباح



هاري وبستر

Bibliotheca Alexandrina
0106258



غزو ألاشباح

1

أخبار غريبه وأسرار عجيبه

غزو الأشباح

هاري وبستر



الغلاف : محمد شمس الدين



ص ب : ٥٧٥٢/ ١١٣ بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة ١٩٩٧

الطبعة الأولى

المحتويات

مقدمة ٧

الفصل الأول

غزو الأرواح

طارد الأرواح الضاجة ١١

الفصل الثاني

الأشباح القديمة

شبح باوساليناس الغاضب ٢٩

الفصل الثالث

ساحات الحرب المسكونة

الغابة المسكونة ٣٥

الفصل الرابع

أشباح أو شرائط وتسجيلات

شبح منجم الفحم في كوتغرايف ٤١

الفصل الخامس

التمرين الروحي

فتاة في عجلة من أمرها ٥٥

الفصل السادس

الهامات Vampires

الهامات التي تمص الدماء ٦٥

الفصل السابع

السرابات Phantoms

سراب طبّال في تيدووث ٨١

الفصل الثامن

حالات ما وراء الأطلسي

قضية فيلبس (Phelps) ١٠٧

الفصل التاسع

بيوت مسكونة بالأشباح

عزبة ليتل كوت ١١٧

الفصل العاشر

أشباح غلاميس

قصر غلاميس ١٢٥

الفصل الحادي عشر

بيت قسيس بورلي (BORLEY)

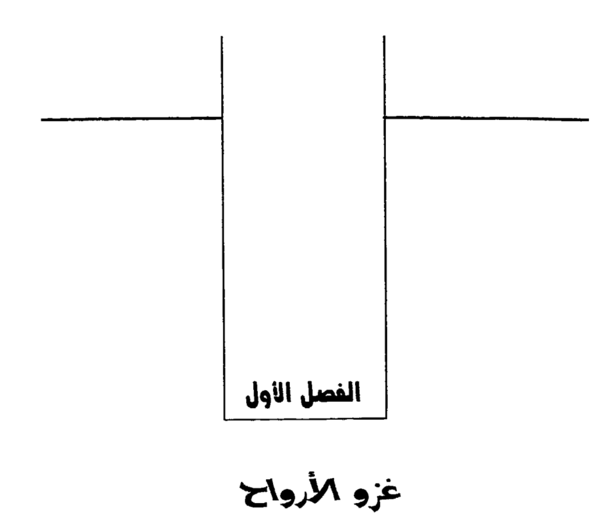
صائد الأشباح الشهير ١٣٣

مقدمة

آمنت كل شعوب العالم القديم بالأرواح: البابليون وشعوب مصر القديمة، وشعب إسرائيل واليونان والرومان والصينيون واليابانيون.

تكمن مشكلة قصص الأرواح في أن الناس لا تأخذها بشكل جديّ. آمن البابليون مثلاً بشبح أنثى يُدعى لاماستو، كان يسرق الأطفال عن أثداء أمهاتهم، وبشبحٍ آخر ـ نامتارو ـ يحكم العالم السفلي، وبثالثٍ ـ رابيزو ـ يختبىء في الزوايا المظلمة ليفاجىء المارة زارعاً الخوف في نفوسهم. أما اليونان فلطالما صدقوا وجود شبح ماصّ للدماء يأكل لحوم البشر، يتجسد في جسد امرأة باهرة الجمال تغوي الرجال لتأكلهم. وكان للصينيين القدماء شبحٌ عيونه حمر وشعره أخضر يأكل الجثث، قادرٌ على خلق جسدٍ من جمجمةٍ وبعض العظام. واعتقد اليابانيون بوجود أشباحٍ نسائية جميلة تتحول إلى ذئاب.

أي جامعٍ لهذا القصص القديمة يدخلها باب الخرافات، ممكن أن تعتمد على أصلٍ حقيقي تناولته الأقاويل ونسج حول الخيال آلاف الخيوط حتى أصبح سامع القصة عاجزاً عن معرفة هذا الأصل وتمييزه عن الملحقات الوهمية. من جانب آخر، ثمة قصص قديمة عن الأرواح تبدو واقعية كما المئات من القصص المشابهة التي قامت جمعية الدراسات العقلية بجمعها.



الفصل الأول

غزو الأرواح

طارد الأرواح الضاجّة

تبدو قصة الصبي المسكون بالأرواح في واشنطن وكأنها أسطورة من أساطير السحر في العصور الوسطى، لكنها أمست ذائعة الصيت بعد أن تحولت إلى قصةٍ كتبها الأميركي وليم بلاثي وأطلق عليها عنواناً جاذباً: «طارد الأرواح» (The Exorcist).

في شهر كانون الثاني عام ١٩٤٩، فوجئت عائلة «دين» (Deen) بأصواتٍ في جدران بيتها الكائن في إحدى ضواحي واشنطن العاصمة، فظنت أن الفئران أو غيرها من القوارض تُشاركها منزلها، لكن مكافحي القوارض لم يجدوا أثراً لهذه.

لم يختف الضجيج بل ازداد وتحوّل إلى وقعِ خطىً حذرة تجتاز الممرات، الأمر الذي أقضَّ مضجع العائلة وحرمها النوم. بعد ذلك، بدأت لحظات الخوف والرعب عندما أمست صحون المائدة طائرات دائريّة، وعندما أخذت قطع الأثاث تتحرك واللوحات الجدارية تختفي لتعود ثانية، والفاكهة تُقْذفُ من وعائها لتضرب الجدران والسقف.

عندئذٍ، تأكدت عائلة دين أن في بيتها شبحاً يضجُّ ضجيجاً،

والأشباح الضَّاجة، كما يُعتقد، هي الأُولاد الجانحة في عالم الأرواح، التي تفرح كثيراً عندما تتسبب بالضجيج والحيرة للإنس. شبح واشنطن الضاجّ فعل أكثر من ذلك، إذ جعل العائلة على شفير



في إحدى حلقات الشعوذة في روما سنة ١٩٧٢ استحضر أحد الكهنة ما ادعى انه الشيطان الذي ظهر على شكل عنزة. ارتطمت بحائط من الجبس الأبيض لعدة مرات ثم أحاطت بها النيران كدليل على هروب الشيطان!

الانهيار العصبي بعد أن حوّل حياتها جحيماً. لكن أمراً واحداً كان جلي الوضوح: لقد ركّز الشبح كل نشاطاته على ولدها الذي لم يتخطَّ بعدُ الثالثة عشرة من العمر. إنه دوغلاس الذي إن دخل البيت قامت الدنيا وضجّ الشبح، وإن خرج ساد السكون التام. بعد ذلك، ابتدأت المرحلة الثانية: شرع سرير دوغلاس يهتز ويرتجف، حتى عندما يكون دوغلاس مستغرقاً في نومٍ عميق.

توجهت العائلة إلى كاهن الرعية ـ الكاهن وينستون ـ وقوفاً على رأيه، فمال إلى الشك، لكنه طلب إلى الصبي البقاء في البيت، واضعاً سريراً إضافياً في غرفته. ما إن دخل الصبي الغرفة واستلقى في سريره حتى بدأت الأصوات الغريبة، وشرع السرير يرتجف. فأسرع الكاهن منيراً الغرفة، ليجد السرير يهتز في مكانه، وليسمع الصرير في الجدران.

جرّب الولد النوم على فراش أرضي، لكن هذا أيضاً اهتز وارتجف حتى شارف دوغلاس على الوقوع أرضاً. في اليوم التالي، نُقِلَ دوغلاس إلى مؤسسة جورج تاون الاستشفائية الكاثوليكية، بينما قام الكاهن بشرح ووصف ما شهده لجمعية البارابسيكولوجيا.

وعندما عجزت المستشفى عن حل مشكلة دوغلاس، طلبت مساعدة اليسوعيين. فقرر هؤلاء أن دوغلاس دين مسكون بالأرواح، وطلبوا مساعدة كاهنٍ اختصاصه طرد الأرواح الشريرة من الناس. صرف هذا الكاهن أسابيع عديدة يمارس الطقوس اللازمة لطرد الأرواح كأن يتمتم هذه الكلمات: «آمرك أيتها الروح الشريرة باسم سيدنا يسوع المسيح أن تبوحي باسمك وبيوم خروجك..» لكن دون الوصول إلى نتيجة.

بعد ذلك، صار دوغلاس يتلفظ بالكلام النابي، ويتكلم

باللاتينية التي لم يتعلمها أبداً، بقي الوضع على ما هو حتى شهر أيار من سنة ١٩٤٩، إذ خرجت منه «الروح» أخيراً، وعاد دوغلاس دين مراهقاً طبيعياً مرّةً أخرى.

الشيخ الضاج في تورين

هل كان شبحاً مؤذياً، أو روحاً شريرةً؟ يجزم المهتمون في هذا الحقل أنها لم تكن روحاً شريرة. في شهر تشرين الثاني عام ١٩٠٠، علم الباحث النفسي ـ والمادي المشكك ـ سيزار لومبروزو بوجود خانٍ مسكون في منطقة تورين الايطالية. عندما وصلها، أخذه صاحبها إلى قبو النبيذ الذي غطت الزجاجات المتكسرة أرضه. وإذ وقفا هناك، ارتفعت بعض الزجاجات في الهواء وسقطت على الأرض أمامهما. أما صحون المطبخ فكانت تعبر سماء الغرف وتتكسّر على الجدران، مارّةً فوق رأس لومبروزو حتى كادت إحداها تقتله شر قتلة. الأمر الغريب هو أن الشيخ هذا لم يؤذِ أحداً رغم أعماله المشينة، إذ كانت الأشياء تعبر قريبةً جداً من رؤوس الموجودين دون أن تُصيبَهُم أبداً.

ركز لومبروزو نظريته على وجود «وسيط» في الخان، ربما دون أن يعلم، تستطيع الأرواح التعبير عن نفسها من خلاله. توجهت شكوك لومبروزو أولاً إلى زوجة صاحب الخان، لكنّ غياب هذه لم يوقف نشاط الشبح، ثم وجّهَ لومبروزو شكوكه صوب ولدٍ في الثالثة عشرة من عمره يعاني بعض المشكلات الصحيّة. ما إن أُبْعِدَ الصبي حتى توقفت كل الأحداث الغريبة والأصوات المزعجة في الخان.

سنة ١٩٠٠ كانت سنة ظهور سيغموند فرويد ونظرياته النفسية، لذلك علَّل لومبروزو ما حصل في تورين على أنه من

تأثيرات العقل اللاواعي عند المراهقين الذين يبدأون بتحولات جنسية تكتمل عند البلوغ. لم تستطع هذه النظرية تفسير تكسّر الصحون على الجدران وعلاقته باللاوعي عند المراهقين، لكنها ـ على الأقل ـ شكلت خطوة على الطريق الصحيح.

شبحٌ ضاجٌ في شارع وايكليف

كانت شيري هيتشينز مراهقة طبيعية تعيش في كنف والديها في أحد المنازل المتشابهة المرصوفة على جانبي شارع وايكليف اللندني. كماكل زميلاتها، تركت شيرلي مدرستها الثانوية مبكراً لتجد عملاً يساعد في مصاريف البيت.

كانت في ذروة السعادة عندما وجدت عملاً كبائعة في مخزن كبير في المدينة. بعد شهور على عيد ميلادها الخامس عشر ـ عام ١٩٥٦ ـ تحولت شيري عن طبيعتها، إذ بدأت مشاكلها عندما أفاقت يوماً لتجد مفتاحاً لامعاً على غطاء سريرها. لم تره من قبل، كما لا يعرف أهلها مصدره، كما لم يناسب أيّاً من أبواب بيتها. أثناء الليالي التالية، كانت أثوابها تنتزع عنها بقسوة كما ابتدأ طَرْقٌ عنيفٌ على جدران غرفتها. وخلال النهار، كانت هذه الأصوات تزيد يرافقها خربشات ووقع خطى في أرجاء البيت، إضافة إلى الأثاث الذي أصابه مرض الاهتزاز والدوران حول الغرفة.

لم تنم شيري خلال أيام، وعندما انتقلت إلى منزل جارةٍ لها طلباً للراحة لحقت بها الأصوات والأحداث الغريبة.

بعد ذلك، قرر أبوها البقاء صاحياً طوال الليل ليرى بأم عينه ما يجري لابنته. فسهر وأخوه في غرفتها بينما هي نامت إلى جانب والدتها. ما إن استلقت على سرير والدتها حتى بدأ هذا يرتجف ويهتز ويعلو عن الأرض يهبط إليها. نادت لأبيها وعمها إلى حيث

هي، فلاحظا غطاء السرير يرتفع كالخيمة، فأسرعا لالتقاطه، لكنهما اصطدما بقوة هائلة تشده برغمهما. إذ ذاك، فوجئا بجسد شيري يرتفع عن السرير دون أن يرفعه رافعٌ.

بعد أن عادت الفتاة إلى رشدها، قالت أنها أحسّت بقوّة ترفعها في وسط ظهرها.

في الأيام التالية رافقت الضوضاء شيري حيث ذهبت، حتى في الحافلة التي تقلّها إلى عملها. واستمر الأمر على هذا النحو قرابة الشهر، حتّى بدأت الأصوات تخف حتى اختفت نهائياً.

بعد قرابة أربعين عاماً على هذه الرواية، مستحيل الحكم على ما حصل بتجرد وموضوعيّة، فالمادة المتوفرة هي كلام الصحف والأحاديث التي أدلى بها الشهود. كما أن عائلة هيتشينز والمحيطين بها لم يكونوا سمعوا بعد بالظواهر الخارقة للطبيعة.

عائلة ويسلي وجيفري العجوز

كان جون ويسلي ـ مؤسس الكنيسة المنهجيّة ـ في الثالثة عشرة من عمره ـ عام ١٧١٥ ـ عندما بدأت الضوضاء والأصوات تغزو بيت أهله في لينكلن شاير في إنكلترا. كانت عائلته كبيرة مؤلفة من ١٩ ولداً بين صبي وبنت. كتبت الأم لابنها الكبير صامؤيل رسالة فيها وصف لما جرى في منزلها: «كانت بداية شهر كانون الأول عندما سمعت الخادمة أنيناً قرب باب غرفة الطعام... لكن أحداً لم يكن موجوداً هناك».

في الأيام التالية، اجتاحت الأصوات المنزل حتى كانت تقطع صلاة العائلة. يوماً بعد يوم، تأقلم آل ويسلي مع الضجيج، وأطلقوا عليه لقب «جيفري العجوز» تندراً، وأمسى شغلهم الشاغل، يلحقون به من غرفة إلى أخرى.

لم يدم الأمر سوى شهرين اثنين، غادر بعدها جيفري العجوز دارة آل ويسلي دون أن يعود.

إنها حالةٌ أخرى دالةٌ على أن الشبح الضاجّ لا يؤذي أحداً. كما أن هذا الشبح الذي نزل ضيفاً على عائلة ويسلي اكتفى بالصراخ دون أن يحطم الصحون أو الزجاج أو الأثاث. ففي بعض الأحيان، يستحم الشبح الضاجّ برذاذٍ من الحجارة أو العملات المعدنية أو الأحذية.

العقل والمادّة

هل يستطيع العقل تحريك المادّة؟! هناك دلائل قاطعة على قدرته. ففي عام ١٩٣٤، دخل أحد المراهنين المحترفين مكتب باحث نفسي قائلاً له إنه يؤثر على «الزهر». وعندما طالبه بإثباتٍ، رمى الزهر عشر مرّات متتالية أتت كما أراد بالضبط.

إكتشفت ربة منزل روسية قدرتها على تحريك عيدان الثقاب بمجرّد النظر إليها. وبعد أن شاهدت باحثة نفسية أميركية اسمها فيليسيا باريس فيلماً عنها، جرّبت الأمر لكنها لم تفلح، حتى أتاها يوماً خبر موت جدتها، فصعقت وحاولت الإمساك بكوب بلاستيكي فهرب منها. الصدمة حركت عقلها اللاواعي، ومنذ ذلك الحين، أمست قادرة على تحريك الأشياء عند التحديق فيها.

ويروي أحد تلاميذ فرويد، كارل جونغ، قصص قريبته التي ما أن وصلت سن البلوغ حتى بدأت التكلم بلغة غريبة، وكسرت طاولة الطعام إلى نصفين وقطعت سكيناً صلباً إلى قطع صغيرة بمجرد إطلاق صرخة عالية قليلاً، رادّاً ذلك إلى لاوعيها.

وفي بعض القصص التي تُروى حول الأرواح والأشباح

الضاجّة، قامت هذا الأرواح بكشف الكثير من الأسرار كأن تلاحق أحد الفلاحين فتمطره بالحجارة والأحذية وتقلق ليله بالأصوات الرهيبة حتى يعترف أخيراً بخيانة مخدومه والاعتداء على ابنته.

أرواح هايد سفيل

أشهر قصص الأرواح الضاجّة هي قصة شبح هايدسفيل. بدأت هذه الحادثة في اليوم الأخير من آذار عام ١٨٤٨ في منزل المزارع جايمس فوكس وزوجته مارغريت وابنتيه مارغريتا (١٤ عاماً) وكايت (١٢ عاماً)، الواقع في غابة قريبة من بلدة هايدسفيل.

أثناء التحقيق في قدرات الوسيط الإيطالي الروحاني أوسابيا بالادينو، استعان البروفيسور ب. فوا بصفيحة فيلمية فوتوغرافية لتسجيل حصول الإشعاعات. لكن يبدو أن أرواح بالادينو رفضت الأمر إذ ما إن دخل الوسيط في حالة الاستحضار حتى امتدت يد تحاول خطف الصفيحة. أمسك فوا باليد وتحسس أناملها لكنها انسحبت منه وصفعته قوياً.

حول الأرواح بعد ذلك انتباههم لإحدى الطاولات فطيروها فوق رؤوس الموجودين. وحين حاول أحد هؤلاء الاقتراب منها، أسرع بها الأشباح إلى خلف ستار منصوب حيث تكسّرت باعثة ضوضاء مسموعاً. شاهد الدكتور فوا الطاولة مقلوبة على ظهرها دون إحدى قوائمها، ثم طائرة إلى خارج الغرفة متابعة تكسّرها أمام أعين الجميع. طلب أحد الموجودين مصافحة إحدى هذه الأورواح، فدعاه بالادينو إلى الاقتراب.. اقترب ليتلقى صفعاً قوياً وضرباً بقطعة من الخشب.

سمع الجميع الضوضاء ورأوا يداً تتحرك في ما يشبه النور الوهمي.

الساكن السابق شكا إزعاجاً مستمراً من طرقات عالية الصوت لم يجد لها مصدراً أو سبباً.

بقيت عائلة فوكس صاحية لأيام وليالٍ طويلةٍ دون راحةٍ بسبب الرياح القوية التي هبّت خلال هذا الشهر. وفي يوم ٣١ آذار، قررت العائلة النوم باكراً للتعويض عن السهر خصوصاً أن الرياح خفت. نامت العائلة في سريرين متجاورين في غرفةٍ واحدةٍ. قبل أن يأوي الأب والأم، سمعت البنتان وقع خطى مستمراً. فقالت الأولى: «أيتها الأصوات... إفعلي كما أفعل» وأخذت تفرقع أصابعها، فقلّدها الشبح. وقالت الثانية: «إفعل كما أفعل» وصفقت بيديها، فأتت الأصوات في الجدران مطابقة لتصفيق الكفين، وبما أن اليوم الثاني هو الأول من نيسان، فكرت العائلة بفكاهةٍ ما. يروي السيد فوكس: «فكرت فوراً بسؤال «الضوضاء» أن يخبرني بطريقته عن أعمار أبنائي، فقام بالدلالة على عمر كلٍ منهم من طريق الأصوات، مخلّياً بين الواحد والآخر قليلاً من الوقت للفصل بينهم، حتى وصل إلى ولدي الأخير فانكفأ لوقت طويل ثم صفق صفقات ثلاثاً للدلالة على عمر ولدنا الذي توفي...»

خافت السيدة فوكس وسألت إن كان مصدر الضوضاء آدمياً، فساد السكون. وإن كان مصْدرُه روحاً أو شبحاً فليطرق طرقتين متتاليتين. وإذا بهما صوتان مجلجلان يهزان أركان البيت. واستمر الحوار فأسفر عن معرفة صاحب الروح. هو رجلٌ توفي عن واحدٍ وثلاثين سنة، قتل في هذا البيت. وكان له زوجة وخمسة أولاد. وعندما وجهت إليه السيدة فوكس سؤالاً عن ممانعته دعوة الجيران أجاب بالنفي. فدعت الجيران وتحادث الجميع مع هذا الشبح لأيامٍ عديدة، حتى انتشرت القصة بين الجميع وفي المناطق المجاورة.

في اليوم الثاني من نيسان، عرف أحد الجيران من الشبح أن

جثته مدفونة في جوار المنزل، فقام جايمس فوكس وجيرانه بالحفر حتى خمسة أقدام حيث وجدوا آثاراً لشعر إنساني وقليلاً من العظام.

بعد عامين، في سنة ١٩٠٢، كتب المشكك فرانك بودومور قائلاً: «لا وجود لأدلّة حسيّة على حصول الجريمة أو حتى على وجود الرجل المفترض أنه مقتول هنا». في السنة نفسها، تصدعت جدران المنزل، فانهار أحدها ليُظهر خلفه هيكلاً عظمياً آدمياً محشوراً بني جدارين صنعا خصيصاً لإخفاء جثة المقتول.

بدأت التحريات والاستجوابات، لكن أيّاً من المحققين لم يقتنع بالأصول غير الطبيعية للأصوات التي كانت تعمّ في المنزل، دون أن يستطيعوا إتهام عائلة فوكس باصطناعها.

ما حيّر الجميع هو انكفاء الأصوات عند خروج البنتين من المنزل، وخصوصاً عند خروج كايت. أخضعت البنتان لفحوص عامّة وعرّيتا من أثوابهما بحثاً عن أية آلةٍ تصدر أصواتاً، دون أن يجد المحققون ما ينشدون.

بعد ذلك، تمّ فصل الأختين. فكايت سكنت بيت أختها الكبرى «ليّا» في روشستر، مارغريتا في بيت أخيها «دايڤيد» في أوبرن، لكن الأرواح لحقت بهما. ففي بيت «ليّا»، تجاوز الأمر حدّ الأصوات ليبدأ وخز الأبر وشد الشعر. كذلك الأمر في بيت دايڤيد. كان واضحاً أن شبح هايدسفيل لم يكن مسؤولاً عن ذلك، إذ عاد إلى بيته ليئن أنيناً موجعاً. أحد الأرواح الذي تحدّث وكايت قال إنه قريبٌ ميتٌ اسمه يعقوب سميث. واكتشفت الأخت ليا قدرتها أيضاً على محادثة الأرواح فبدأت نقل رسائلها. وعندما زارتهم صديقة في السادسة عشرة من عمرها، لحقت بها الأرواح إلى بيتها البعيد جداً.

انتقلت كل عائلة فوكس إلى روشستر، لكن الظواهر الغريبة استمرت. وفي أحد الأيام، تمكن أحد الزائرين من التحدث مع صاحب الروح بالأصوات المعبّرة عن حروف، فجمع هذا الزائر ما توصل إليه من حروف كانت رسالة هي التالية: «أيها الأصدقاء، يجب أن تعلنوا الحقيقة للملأ. إنه فجر عصر جديد. سيحميكم الله وستحرسكم الأرواح الطيبة».

في ١٤ تشرين الثاني من عام ١٨٤٩، أعلن عن أول اجتماع روحاني في القاعة الكورنثية للإجتماعات في روشستر. لكن المجتمعين أصرّوا على نكران الأمر، حتى وصل الأمر بهم إلى محاكمة البنتين. غير أن الأمور بدأت تتبدل بالنسبة لكايت ومارغريتا حين توجها عام ١٨٥٠ إلى نيويورك ومثلتا أمام لجنة من المثقفين الأميركيين لثلاثة أيام دون أن تفارقهما الأصوات. كما قامتا بنقل رسائل الميت، الأمر الذي أقنع اللجنة.

شاعت أخبار البنتين، وأصبحتا من «الوسطاء» ذائعي الصيت، كما انتعشت أحوال العائلة المادية.

في العام ١٨٦١، تمكنت كايت من إحضار زوجة أحد أصحاب البنوك، ويدعى شارلز ليمزمور، الميتة بجسمها إلى غرفة مقفلة فحادثها زوجها ورآها بوضوح. وكان هذا بغاية الامتنان فزادها من ماله ودفع لها تكاليف رحلة إلى إنكلترا حيث سبقتها أخبارها.

لكن حال الفتاتين لم تستقر، بل زجّا نفسيهما في مشاحنات وخلافات مع أختهما الكبيرة «ليا» التي ما تزال وسيطة مبتدئة، فحاكا لها المؤامرات محاولتين تدمير حياتها. وانزلقا إلى إدمان الكحول فعادا إلى الفقر من جديد، حتى ماتا في يومٍ واحدٍ.

في هذا الوقت، كانت «الروحانيات» شاعت في أميركا ووصلت إلى كل أنحاء العالم، ودخلت كل البيوت، حتى قصور الملوك والأمراء. فقد جربت الملكة فيكتوريا، بمساعدة زوجها الأمير ألبرت «الوساطة»، فجلسا في غرفةٍ مظلمةٍ وكَفّا كلّ منهما على الطاولة. فابتدأت هذه تهتز وتصدر أصواتاً غريبةً. فاقتنعت الملكة أن لا خدع في الأمر لكنها ردّت الحادثة إلى أصول كهربائية وأسباب مغناطيسية.

كانت «واترتاون» ناقلة بترول ضخمة تابعة لشركة (cities Service). في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٢٤، حدث أمر غريب على ظهر هذه السفينة: كان البحاران جايس كورتني ومايكل ميهان ينظفان أحد أجزائها بينما كانت في طريقها إلى قناة باناما، فاختنقا بدخان الغاز وفارقا الحياة. وبحسب العرف البحري، جرى دفنهما في البحر يوم ٤ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٢٤.

وفي اليوم التالي، ظهر وجهاهما على البحارة. أخبر أحدهم القبطان كيث ترايسي أن الوجهين يلحقان بالسفينة في الماء. شاهد طاقم السفينة وقائدها وجهي الرجلين يظهران يوماً بعد يوم حتى وصلت إلى مرفأ نيو أورلينز. هناك، رفع القبطان تقريراً حول هذه الحادثة الغريبة إلى مسؤولي الشركة. سأله أحدهم، ج.س. باتون، أن يحاول تصوير الوجهين وسلّمه فيلماً مختوماً.

حين أبحرت واترتاون في طريق العودة، عاد الشبحان إلى الظهور، فالتقط القبطان لهما ست صور لكنها لم تحمّض أو تظهّر إلاّ بعد عودة السفينة إلى نيو أورلينز. استلم باتون الفيلم وأخرجه مطبوعاً. خمسة صور لا تظهر شيئاً، أما السادسة فتُظهر وجهين معكوسين على الماء كئيبين يلحقان بالسفينة.

شبحٌ ضاجٌّ في دودليستون

في كتابٍ عنوانه Vertical Plane، يصدف الأستاذ المدرسي كين ويبستر كيف انتقل عام ١٩٨٤ مع صديقته ديبي (١٩ عاماً) إلى بيت ريفي يعود تاريخه إلى القرن التاسع عشر في قرية دودليستون بالقرب من شستر. في صباح أحد الأيام، وبينما كانا يدهنان جدران المطبخ بمساعدة صديقهما نيك، انطبعت آثار أقدام على الحائط صعوداً باتجاه السقف. وبعد أيام، وجدا آثار قوائم هرّة على أرض المطبخ. كانت هواية ذلك الشبح الضاجّ تكديس الأشياء فوق بعضها، كالصحون والمعلبات الفارغة.

كان لدى كين جهاز كمبيوتر من الطراز القديم يستعين أحياناً. فما إن يُدخله المطبخ، حتى يرى على شاشته كلمات تظهر لم يطبعها أبداً. وفي أحد الأيام، قرر كين محادثة «الروح»، فأجابه هذا كتابة على الكمبيوتر أن اسمه توماس هاردن، واضعاً تاريخاً قرب الاسم: ١٥٤٦. يظهر جلياً أن الأرواح لا تدري أنها ميتة. وكان أول سؤال وجهه توماس لكين: «ماذا تفعل في بيتي؟» فقد اعتقد الشبح أن كين ويبستر هو الروح التي تلاحقه في منزله.

أثناء المحادثات الكتابية، كان توماس هاردن يستخدم تعابير إنكليزية كفَّ الإنكليز نفسهم عن التكلم بها بعد أن كانت شائعة في إنلكترا القرون الوسطى.

وأظهر الشبح قدرةً غريبة على استخدام الكمبيوتر، إذ قدر خلال دقيقة على دخول البرنامج والطبع فيه، الأمر الذي يحتاج جهداً لعشر دقائق إن حاوله كين.

كان توماس هارد بغاية النبل عندما أشار لكين وديبي أنه يرحب بهما في بيته لكنه بقي يضايقهما خصوصاً عندما يستقبلان ضيوفاً

في المساء، كما كان يلوي مقابض الطناجر والأواني الحديدية، ليعيدها إلى طبيعتها في اليوم الثاني وكأنها لم تمسّ.

وأخيراً، غادر توماس هاردن المنزل وكأنه ملّ هذا الأمر، أو كأنّه أتى بطارد أرواح يريحه من هذين الشخصين الضاجين الآتيين من القرن العشرين. وما زال كين وديبي يسكنان المنزل حتى الآن بهدوء وسكينة تامّين.

إن قضية دودليستون تتعارض ونظرية «المراهقة غير المستقرة». فكين غير مراهق وديبي في وضع نفسي مستقر، لكنهما أحسّا معاً بإرهاق وكأن توماس هارد استخدم حيويتهما ليعلن عن نفسه.

يعلّق هاري برايس* على هذا الموضوع قائلاً: «إن الأشباح الضاجّة أرواح حقيقية يحتاج إلى النشاط الإنساني لتعتلن».

ساحرة بيل

عادةً، يكون الشبح الضاجّ غير مؤذٍ أبداً. فقد يرمي بالأشياء الثقيلة فوق رؤوس الناس دون أن يصيبها. لكن حالات نادرة سجّلت إصابة بعض الناس ومشارفتهم على الموت. أشهر هذه الحالات معروف بحالة ساحرة بيلّ.

بدأ الأمر في تينيسّي عام ١٨١٧، حيث عاش جون بيل وزوجته وعائلته المؤلفة من تسعة أطفال، في مزرعةٍ اشتراها ورممها. من بين أطفالهما بنت في الثانية عشرة، بيتسي، تركزت حولها إزعاجات الشبح.

كانت البداية مشابهة لكل البديات من أصوات إلى ضوضاء قوية، ثم بدأت الحجارة ترمى وأغطية الأسرّة تمزق. فإذا أمسى أحد الأطفال بغطاء سريره تلقى صفعات قوية على وجهه ويديه.

وعندما كانت تصل الأصوات إلى ذروتها، كانت تتحول بيتسي شاحبة وتغيب في غيبوبةٍ قصيرة.

بعد ذلك، اجتمعت الأصوات في صوت واحدٍ مشابه لصوت مجنون يتكلم. أعلن الشبح نفسه شبح امرأةٍ اسمها Old Kate Bats، مؤكدةً أنها شبح هائمٌ وغاضبٌ سيعذب جون بيل ويقتله. فكانت تورّم لسانه وتصفع وجهه وتسبب له التشنجات العصبية، حتى كان يومٌ استيقظ فيه الجميع على أنين جون الخفيف. أعلنت أولد كايت باتس أنها سممته، ومات في اليوم التالي.

في السنة التالية، دوّى إنفجار في مدخنة المطبخ، وصرخت الساحرة: «أنا ذاهبة وسأعود بعد سبع سنوات». سكن البيت لسنوات سبع، حتى عادت بعدها إلى سيرتها السابقة. لكنها ما لبثت أن توقفت نهائياً.

أحد الأخصائيين النفسيين المجربين «ناندور فودور» مقتنع أن جون بيل اعتدى على ابنته يوماً ما، فكان ذلك سبباً لكل هذه الأحداث. لكن هناك مناقضٌ لنظريته، فالأشباح المتكلمة تجد متعةً في فضح أسرار ضحاياها. لو كان الأمر صحيحاً لكانت هذه الساحرة جاءت البيت متكلمة عن فعلة جون بيل الشنيعة.

الفصل الثاني

الأشباح القديمة

شبح باوساناس الغاضب

شارك الضابط الأسبرطي باوساناس في الحرب العظمى التي قامت بين الرومان والفرس في القرن الخامس قبل الميلاد، وقام بسحق الفرس في المعركة البحرية الشهيرة في بلاطيا Plataea. حسب المؤرخ الروماني ثوسيديوس، أصاب باوسانياس الغرور بعد أن أصاب الشهرة. وعندما احتل بيزنطيا تحوّل إلى طاغ لا يُحتمل، ما دفع الأسبرطيين إلى الطلب منه العودة إلى الإمبراطورية للدفاع عن نفسه أثناء محاكمته. بدلاً من ذلك، كتب إلى ملك الفرس واضعاً نفسه تحت رايته خائناً بلاده. لكن مرساله كشف السرّ. ففر من وجه الجيش والتجأ إلى معبد أثينا متحصناً فيه. حوصر هناك حتى مات جوعاً. كانت نتيجة ذلك إستيطان شبح باوسانياس في هذا المعبد وقيامه بالتسبب بالضوضاء الحاد والعالي، ما أجبر الكهنة على الاستنجاد بالساحر الذي أقنع الروح مغادرة المكان.

لماذا نصدق هذه الرواية أكثر من الروايات الصينية واليابانية؟ الجواب بسيط.. لمشابهتها لقصص الشبح الضاجّ. ثمة روايات كثيرة تتناول رجالاً ونساءً ماتوا في ظروف قاسية دون أن يعوا أنهم

ماتوا. وهؤلاء معروفون باسم «الأرواح المتّصلة بالأرض».

شبح السلاسل القعقعة في أثينا

وجدت هذه الرواية مكتوبة في إحدى رسائل الكاتب الروماني بليني الأصغر (٦١ - ١١٤م).

كان في أثينا منزل كبير لا يقربه أحدٌ لأنه كان مسكوناً فيه شبح رجلٍ مسنٍ قذرٍ يقرقع بالسلاسل ويصدر أنيناً صاخباً.

وفي أحد الأيام، وصل إلى المدينة الفيلسوف أثينودوروس زائراً، فوقع اختياره على ذلك المنزل ليكون موضع خلوته الفلسفية. وعندما وجد بدل الإيجار زهيداً، انتقل إلى الدار فوراً، برغم تحذير المالكين له وإخباره بالشبح المقرقع. لم يستمع إلى ما قاله الناس، بل طلب سريراً وطاولة وكرسيين وقنديلاً.

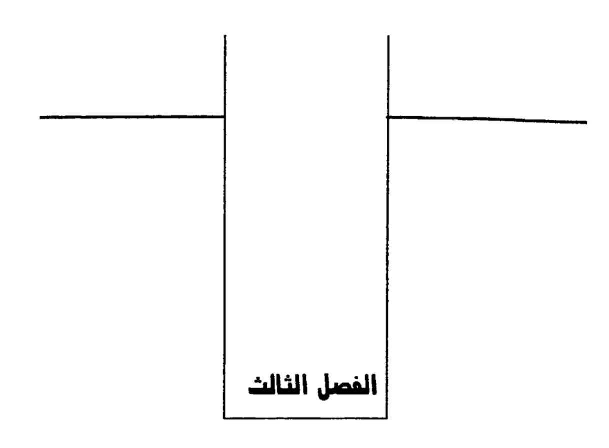
في الليلة الأولى، قرر البقاء صاحياً بدافع الفضول. مضت ساعات طويلة دون حصول أي ما يعكر صفو جلسته، فاستغرق في الكتابة. وفجأة، بدأ يسمع صوت قرقعة السلاسل تقترب منه حتى أطل عليه عجوز قذر مكبل بالسلاسل وراح يشير إليه بإصبعه ويدعوه للحاق به. لم يأبه له أثينودوروس وأشار إليه بيد أن يذهب من هنا، فبدأ الشبح بالأنين وبقرقعة السلاسل حتى استسلم الفيلسوف لرغبته ولحق به في ممرّ وحلٍ حتى خرجا إلى الحديقة. بعد ذلك، تقدم الشبح خطوات قليلة واختفى، فأسرع الفيلسوف إلى حيث اختفى الشبح وكدس بعض الحجارة لتكون علامة يستدل بها، ثم عاد إلى الغرفة ونام على ملءَ جفونه دون أن يزعجه شيء.

في اليوم التالي، أخبر أثينودوروس سلطات المدينة بما رأى،

فأمرت هذه بحفر ذلك المكان، فوجدت هيكلاً عظمياً رثاً مكبلاً بالسلاسل الحديدية. وما إن رفعت الرفات ودفنت بشكل لائق حتى اختفت كل المظاهر السابقة.

لماذا تصدق هذه الرواية؟

إن للأشباح أصواتاً صاخبةً كما رأينا في حالة شبح هادسفيل الذي أعلن أنه قتل في ذاك المنزل. الأمر المشكوك فيه في هذه الرواية هو سلوك الفيلسوف الذي لم يخف لرؤية الشبح، بل وأشاح إليه بيده طالباً منه تركه بسلام. فيمكن أن يكون ذلك مضافاً إلى القصة. إلى جانب ذلك، بقاء القصّة دون نهاية سينمائية يبعد الشك في كونها قصة مؤلفة من نسج الخيال.



الفصل الثالث

ساحات الحرب المسكونة

الغابة المسكونة

في ذلك النهار من شهر حزيران عام ١٩٤٠، كان الملازم جون سكولاي البريطاني وكتيبته المؤلفة من السكوتلانديين يختبئون خلف السواتر الترابية تجنباً لنيران القناصة الألمان في تلك الغابة خارج دانكرك. وفجأة أتاه معاونه هلعاً يقول له: «يا سيدي بالله عليك... لسنا نخاف الألمان. إن لزم الأمر نهاجم خطوطهم، ونسحقهم ونمر عبر دفاعاتهم، لكننا لن نبقى هنا ليلة أخرى... فهذه الغابة مسكونة بالأشباح» برغم غرابة هذه الفكرة،لم يستطع الملازم سكولاي التغاضي عنها وذلك بعدما رآه في اليومين الماضيين من تقاعس السكوتلانديين غير المألوف عن القتال، هم المشهورون بتحمل ضراوة الحروب والقتال المتوحش دون خوف أو وجل.

ويروي الرقيب لرئيسه: «كنا نحس بوجود الأشباح، وكأنها قوة تدفعنا دون أن نستطيع التملص منها».

بعد ذلك، تراجعت الكتيبة ٥١ الأسكتلاندية والتحقت بالقوات البريطانية في ميناء دنكرك. ما إن خرج الجنود خارج الغابة المسكونة، عادت إليهم الحماسة، لكن ماذا يفعلون إزاء الغارات

الألمانية بالطائرات والدبابات، فلحق بهم ما حلّ بكل القوات البريطانية من هزيمة عرفت بمذبحة دانكرك.

أمضى سكولاي نفسه الأيام الباقية من الحرب في معسكر اعتقال نازي. وعندما انتهت الحرب، عاد إلى غابة دنكرك لزيارة ذلك الموقع العجيب.

الأبحاث التي أجريت كشفت أن هذا الموقع نفسه شهد عام ١٤١٥ معركةً حامية الوطيس بين الجيشين الفرنسي والإنكليزي. هل عادت أرواح الجنود بعد ٥٠٠ عام لتلاحق المتعاركين في هذه الغابة؟ أم هي القوّة الروحانية التي بقيت راضخةً حتى أيقظها العنف الرهيب.

لم تكن الغابة ساحة الحرب الوحيدة التي تسكنها الأرواح. فساحة معركة ماراثون كانت كذلك. فلسنوات عديدة تلت نصر اليونانيين على الفرس هناك عام ٤٩٢ ميلادية، كانت المعركة تتكرر يومياً، فكان من يمرّ قرب المكان بعد المغيب يسمع قرقعة السيوف وأنين الجرحى ويشمّ رائحة الدم. أما من وسعه رؤية أشباح المتحاربين فمات في غضون سنة.

الشبح الذي يظهر على إنسانٍ واحدٍ مرة واحدةً هو النوع الأندر بين الأشباح، أما الشبح الذي يتعلق بمكان حيث يُشَاهَدُ أكثر من مرة هو شبح يراه أي إنسان. إلى ذلك، الشبح الذي يهيم في مكان ما يخفي وراءه قصّةً محزنة، كأن يمرّ في تجربةٍ قاسيةٍ في ذلك المكان، أو أن يتعلّق بهذا المكان عاطفياً، أو كأن يتعرض لعنفٍ يقتله في المكان هذا.

بناءً عليه، إن كان للمكان أن يسكن بالأشباح، يجب أن تكون كل ساحات الحرب والقتال حبلى بالأرواح الغاضبة، وذلك بسبب الألم والرعب المكثّفين، وفخر النصر وعار الهزيمة المتلازمين.

رعيان ادجهيل (Edgehill)

في ٢٣ تشرين الأول عام ١٦٤٣، اندلع القتال في إدجهيل بين أنصار الملكية بأمرة الأمير روبرت والجمهوريين الذين يتزعمهم أوليفر كرومويل، وكانت أولى معارك الحرب الأهلية الإنكليزية. وبعد انتهاء المعركة دون غالبٍ فيها، بقيت جثث خمسة آلاف رجلٍ في أرض إيدجهيل المتجلّدة.

بعد انقضاء شهر، شاهد الرعيان المحليون مناظر غريبة، إذ عاد واشتبك الطرفان في قتال عنيفٍ جداً بالسيوف والبنادق والمدافع النارية. لكن هذه المرّة، لم يكن من جثثٍ متروكة في أرض المعركة. وعندما شوهد الجيشان الوهميّان ثانية ليلة عيد الميلاد، وصلت الأخبار إلى الملك شارلز الأول فأرسل بضباط كانوا في المعركة الأصلية لتقصّي الحقائق.

بعد عودة هؤلاء الضباط واجهوا الملك بما سمعوه من الرعيان وبما شاهدوه بأم العين. فقد حصلت المعركة مرّتين أمام أعينهم، فكانوا يرون جنودهم الذين قتلوا فيها، كما رأوا وجه الأمير روبرت رغم أنه كان ما يزال حياً يُرزق. هذه الملحوظة المهمة تؤكد أن الأشباح ليست أرواح أناس ماتوا، لكنهم نوع من تسجيل يترك لتُعاد رؤيته في ظروف أخرى.

رأى الملك شارلز في ذلك فأل خير عليه، لكن ذلك انقلب عليه شراً إذ لم تمر سنوات ستة حتى وصل حزب كرومويل السلطة وقُطِع رأس الملك.

الحرب الأهلية الأميركية هي المأساة الأعظم في تاريخ الولايات المتحدة، إذ جرت خلالها المعارك الرهيبة التي قتلت ما يقارب نصف مليون رجل. لكن ساحات الوغى تبقى صامتة إلا تلك في

شيلوه Shiloh حيث هاجمت قوات الجنرال جونستون الانفصالية قوات الجنرال غرانت الإتحادية يوم ٦ نيسان ١٨٦٢. وبعد يومين من سفك الدماء اندحر الإنفصاليون وجرى النهر القريب دماً قانياً لأيام عديدة، إذ بلغ عدد القتلى أربعةً وعشرين ألف رجلٍ. ما تزال الشائعات حول القوات الوهمية وأشباح الجنود تتلاحم في حروب جديدة سارية حتى اليوم.

الفصل الرابع

أشباح أو شرائط وتسجيلات

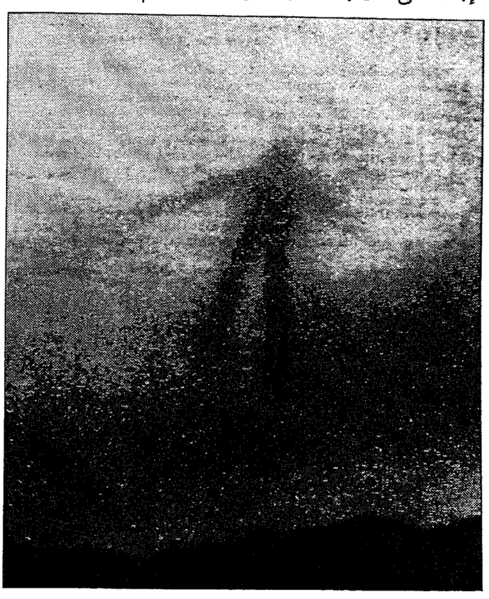
شبح منجم الفحم في كوتغرايف

في خريف عام ١٩٨٩، كان عامل المناجم الشاب غاري باين يعمل وحيداً في قسم منعزلٍ من منجم الفحم في كوتغرايف عندما سمع حشرجات غريبّة آتية من عربة النقل الحديدية. فاعتقد أن أمراً علق بسكة العربة وقام ليستكشف الأمر، لكنه رأى رجلاً بثياب سوداء وخوذة حديدية ينهض عن الأرض يئن أنيناً مؤلماً. كانت ردّة فعل غاري الأولية اعتقاده أن زميلاً من زملائه يحاول إخافته تندراً، لكن الرجل نهض عن الأرض واختفى في جدار ضخم. عندها، تأكد غاري أنه شاهد شبحاً، فَصُدِمَ واعتكف في منزله للراحة. لأسابيع عديدة، لم يختر المنطقة المسكونة عاملٌ وحيداً بل كان العمال يذهبون إلى هناك جماعات.

كان موقفهم مبرراً لكنه لم يكن ضرورياً أبداً. فكل قصص الأشباح لم تورد أبداً خبر شبحٍ مؤذٍ إلا الأشباح الضاجّة التي وجدنا بعضها يحب أذية الناس (ساحرة بيل). فالأشباح لا تؤذي لأنها ليست أكثر واقعية من الأفلام المسجَّلة.

شبح محكمة هامبتون

أشهر أشباح محكمة هامبتون شبح اللايدي كاثرين هوارد التي حضرت إلى المدينة عام ١٥٤٠ عروساً للملك السمين والمسنّ. لم تمضِ سنة حتى سرت شائعة مفادها أنّ هذه الفتاة كانت أفضل بقليلٍ من المومس. ليلة القبض عليها، لجأت إلى زوجها تطلب منه الإبقاء على حياتها، لكنّها جرّت جرّاً رغم صراخها وطلبها



صورة لشبح زعم أحد المصورين أنه التقطها على رأس جبل هارز في ألمانيا

الرحمة، خصوصاً بعد تجاهل زوجها لبكائها، فسجنت وماتت.

وفي كل ذكرى لزواجها، يعود شبحها إلى الصراخ وتكرار ما حصل ليلة قُبِضَ عليها، ويؤكد ذلك الكثيرون ممن رأوها، قائلين إنهم شاهدوا فتاةً جميلةً جداً بشعر طويل. أقفل المكان لزمنٍ، ثم استعمل كقبو أو مستودع تنبذ فيه اللوحات الفنية القديمة. وفي أحد الأيام، كان فنان يبتدع سجادةً رأى أمامه يداً تختفي لتعود ثانيةً، فرسمها سريعاً. كان في الكف خاتم عرّف عنه الجميع قائلين: «هذا خاتم كاثرين هوارد».

قد يظهر ذلك بعيداً عن التصديق، لكن إحدى المفتشات العقليات زارت المكان وقالت إنها أحسّت بمأساةٍ لا توصف وببرودة جسدية رهيبة. امرأة أخرى دخلت المكان وأحست بشعور النزع الأخير يطل من جدران الغرفة، حيث ركعت كاثرين تصرخ مستجدية الرحمة من زوجها الملك هنري، وبشعور المأساة يعبق حيث كان هذا جالساً يستمع لصراخ زوجته دون أن يحرك ساكناً.

كاثرين قتلت بقطع رأسها في العام التالي، وهذا ما يفسّر شعور المرأة بإحساس الموت الباردة. أما المأساة، فهي ما قاساه هنري الذي ما استطاع إنقاذ زوجته.

إن نظرية «التسجيل» قديمة وضعها العالم أوليفر لودج عام ١٩٠٠، الذي لاحظ أن الشبح يظهر لإنسان ولا يظهر لآخر رغم وجودهما معاً، أي أن واحدهما يستطيع التقاط «الذبذبات» كجهاز الراديو، بينما الآخر لا يلتقطها. وبذلك يقترح لودج أن الأشباح شبيهة بالبثّ والتسجيل، ويضيف أن مشاعر قوية كالتي تواكب القتل أو الإنتحار، تتعلق بالجدران التي تمتصّها، ليلتقطها مفرطو الحساسية.

الشبح في عدّته الكاملة

يمكن تطبيق النظرية عينها على المدرس ليثبريدج Leithbridge في كامبريدج الذي كان خارجاً من غرفته عندما رأى رجلاً يرتدي قبعةً طويلةً يدخل الغرفة، فاعتقده أحد حجّاب الإدارة آتياً برسالة فمسّاه دون أن يردّ. وفي اليوم التالي، سأل ليثبريدج صديقه عن الرسالة، فأنكر هذا الأخير كل معرفة بالأمر، فعلم ساعتئذٍ أنه رأى شبح أحد الذين سكنوا هذه الغرف من قبل.

بعد نصف قرن، كان ليثبريدج جالساً في شرفة منزله المطل على بستانٍ محيط بمنزل امرأة تدعي السحر. فرآها واقفةً وخلفها امرأة أخرى طويلة أثوابها قديمة ورمادية اللون. فلما سأل جارته عن

في عام ١٩٦٤، أثناء عمل أحد العمال على مكبس للصلب في أحد معامل السيارات في ديترويت، حصل خلل في المكبس أدى إلى انطلاق قطعة كبيرة من الحديد باتجاهه. يقول هذا العامل المصدوم ـ دون أن يكون قد أصيب ـ إن رجلاً أسود في وجهه ندبةٌ طويلةٌ دفعه باتجاه الحائط فتجنب الاصطدام بالحديد المتطاير من المكبس. ويجزم أنه لم يرَ هذا العامل الأسود من قبل، لكن بعض العاملين تذكره. إنه العامل الذي توفي عام ١٩٤٤ في المكان نفسه، إذ كان يعمل على هذا المكبس بعينه، إثر حادث مؤسف، برغم أنه كان مكيناً من عمله. وردّ سبب الخطأ إلى طول ساعات عمله. ويقول العامل: «كان الزنجي حقيقياً أمامي، قوياً دفعني وكأنني ريشة بين قبضتيه القويتين. لم أصدق وجود الأشباح من قبل، فإن كان شبحاً أرفع له القبعة إجلالاً واحتراماً. أحد التفسيرات الممكنة تقول إن عاملاً بعيداً رأى الخطر يحيط بفرامله، أتته فجأة صورة قوية في لاوعيه تمثل الرجل الذي مات، فأرسلها تخاطرياً إلى زميله، دون أن يدري. هذا جائز لكنّه نادر الحصول.

ضيفتها نفت أن تكون رأتها. ولما وصفها قالت: «آه لقد رأيت شبحي». تبادر إلى ذهن ليثبريدج أنّ هذه السيدة هي نوع من الصورة التلفزيونية أو من الأفكار المسلّطة لا يلتقطها إلا بعض الناس القادرين على ذلك. فاقتنع أن الشبحين اللذين رآهما ـ شبح الرجل وشبح المرأة الطويلة ـ مجرد تسجيلين على شريط، تسجلا عليه بالأبيض والأسود. لهذا السبب رآهما بلباس رمادي.

لكن، على ماذا تسجّلا؟ ويختم ليثبريدج: «على حقل الماء الكهربائي». فغرفة صديقه في كامبريدج كانت تطل على بحيرة، وكانت كثيرة الرطوبة.

ويضيف أن شبح رجل المنجم وروح الملكة كاثرين هوارد ليسا إلا تسجيلات، لقرب المكانين من الماء.

تنسحب هذه النظرة على الكثير من قصص الأشباح، فهذه تظهر بالأسود والأبيض، وتختفي كما تختفي صورة التلفاز عند قطع التيار الكهربائي عنه.

شبح القوات الجوية الملكية

تبقى بعض الروايات التي تتناول الأشباح صعبة التفسير والتصديق. واحدة من هذه الروايات المبهمة ما تزال تروي أحداثاً آنية مستمرة حصلت عام ١٩٩٠ في كليّة تدريب الضباط التابعة للقوات الجوية الملكية. فقد ظهرت روح ضابط في بذّة الطيران مراراً في برج المراقبة. وفي إحدى الليالي كان الملازم الطيار مارك باين برفقة برندا جينكينسون عندما فاجأهما شبحُ رجلٍ بطول ٦ أقدام يمشي في الغرفة. بدا لهما رمادي اللون باهتاً، ثم فتح(اختفى فجأة وبسرعة.

أدلت قيادة القوات الجوية الملكية بتصريح علني اعترفت فيه بحصول هذه الحوادث وعرّفت عن هوية صاحب الشبح: إنه الضابط الجوي والتر هودجسون الذي قتل عام ١٩٥٩ عن ثمانية وثلاثين عاماً، وقُبِلَ طلب والديه أن تخلد ذكراه بحفر اسمه على رخامة خارج برج المراقبة. وبعد سنوات، أدخلت الرخامة إلى داخل البرج.. ومنذ ذلك الوقت، ظهر الشبح وبدأ التجوال في البرج.

وفي المؤتمر الصحفي، رأى قائد السرب العقيد مايك بروكس أن روح والتر هودجسون استاءت من نقل حجر الذكرى. فإن كان هذا صحيحاً، يبدو أن ليثبريدج مخطىء في نظرية «التسجيل النظري» الذي لا يأبه لمكان حجر نصب لذكراه. أهو مخطىءٌ فعلاً؟ ليس ضرورياً أبداً. فكل الروايات تدل على وجود نوعين من الأشباح: النوع الأول الذي ينضوي تحت باب التسجيل النظري، والنوع الثاني الذي يستجيب لوجود الناس ويظهر طبيعياً وجامداً كالإنسان الطبيعي. معظم أشباح النوع الثاني يتصرفون وكأنهم لا يعلمون أنهم أمواتٌ.

شبح غرفة التغيير

خاض الروائي ويلبر رايت تجربةً مشابهةً. فعندما كان في القوى الجوية الملكية عام ١٩٤١، عاد ذات ليلةٍ من مأذونية مبيتٍ، ودخل «هنجار» الخزائن بحثاً عن لفافات تبغ كان وضعها في خزانته. أضاء الأنوار وفتح الخزانة فرأى فيها أحد قواد طائرات القصف اسمه ستوكر جالساً فيها. وعندما سأله مذا يفعل هنا، أجابه ستوكر: «إني لا أجد قفازاتي اللعينة». فأخذ رايت لفافاته ونسي الموضوع.

وفي صباح اليوم التالي، سأل رفاقه عما حصل في غيابه، فأخبروه أن طائرة ستوكر أصيبت في الحرب على الجبهة، وسقطت

قرب دورتموند. وعندها قال: «هذا ستوكر ذو حظ سعيد لنجاته»، فأخبروه أنه ما استطاع القفز من الطائرة وقتل وهو يبحث عن قفازاته.

صدم رايت ومرض وأصابه الأرق لليالٍ عديدةٍ، ومضى وقت طويل قبل أن يتذكر أن المكان كان مظلماً جداً قبل أن ينيره، وكان يجب عليه أن يفكر بغرابة أمر رجلٍ يفتش عن قفازاته في الظلام.

يؤكد رايت أن ستوكر كان شبحاً حقيقياً كلّمه ورآه. إن الحالات المشابهة، أي حالات أناس لاحظهم أقرباؤهم أو أصدقاؤهم بعد قليلٍ من موتهم، تشكل القسم الأكبر من حوادث رؤية الأشباح المبلغ عنها.

بعض الحالات النموذجية

في الحادي والعشرين من تشرين الأول عام ١٨٩٣، كان الأمير فيكتور دوليپ سينغ، إبن المهراجا، في أحد فنادق برلين برفقة اللورد كارنارڤون. قبل أن يُطفىء النور ليستسلم للنوم، نظر إلى اللوحة المائية المعلقة قبالته على الجدار، ففاجأه وجه والده المهراجا المسنّ ينظر إليه نظرةً من ورائها قصدٌ ما. اعتقد أن في اللوحة وجهاً مشابهاً لوجه أبيه، فنهض وأنعم فيها النظر، فوجدها تصور فتاةً جميلة تحمل وردةً على شرفةٍ خارجية.

في الصباح، أخبر الأمير اللورد كانارڤون بما رأى دون أن يردّ بأي تعليق، وقبل أن تهلّ الظهيرة، وصل نبأ موت المهراجا في الليلة الماضية إثر نوبة قلبية. فقد رأى الأمير صورة والده في وقت كان المهراجا راقداً في الغيبوبة قبل ساعات من موته.

وفي السادس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٠٢، استيقظت زوجة أحد حرّاس سكة الحديد في الثالثة صباحاً عطشى، وفيما

كانت تشرب ماءً من الكوب الزجاجي، رأت في الماء قطاراً يتكسّر ويشتعل، فذعرت خوفاً على زوجها. وعندما حضر في التاسعة من صباح اليوم التالي، أخبرته برؤياها فأكد لها ما حصل، كما شاهدته بأم عينها. الغريب في هذه الحالة رؤية الزوج لمكان ومشاهدة الحادث مرتين: الأولى في الوقت نفسه لرؤية زوجته ليلاً، والثانية في السابعة من صباح اليوم التالي أثناء عودته إلى المنزل الزوجي. فهل يكون هذا تخاطراً؟ وهل نقل لزوجته التفاصيل التي لم يميزها ليلاً؟

في التاسع من تموز عام ١٩٠٤، راود الروائي رايدر هانمارد حلماً أو كابوساً مخيفاً ما اضطر زوجته إلى هزّه ليستيقظ. في حلمه رأى كلب ابنته ـ بوب ـ إلى جانبه بحيرة، ورأسه معقوف إلى الداخل كأنه يخبره أنه يموت. في صباح اليوم التالي، أخبر ابنته بالأمر، لكنها لم تأبه له. فهي أطعمت كلبها مساء البارحة. في ظهر ذلك النهار، اختفى بوب، وجده الناس بعد أربعة أيام عائماً في النهر القريب، إذ قذفه قطارٌ مارّ ليلة كابوس هاغارد.

إشترت إحدى العائلات مخبزاً كانت تملكه عائلة أخرى. وما إن بدأوا العمل حتى شعروا جميعاً بوجود أمرٍ غير طبيعي في المخبز، كأن تنفتح الأبواب وتدور الآلات. وكان الأب والإبن يُحسّان بقوة تدفعهم بلطف أثناء العمل. إثر ذلك، ذهبوا لرؤية المالكين القدماء، فأنكر هؤلاء أي وجود لأشباح في المخبز. وأثناء الزيارة، رأوا في منزل المالكين القدماء كهلاً لا يتكلم بل يبقى شارداً. وفي أحد الأيام، «اختفت كل الظواهر الغريبة». في ذلك اليوم بالذات، توفي الرجل الكهل. فبعد أن تقاعد هذا الكهل، بقيت مخيّلته تعمل في المخبز. هذا شبحٌ صاحبُهُ حي يرزق.

في التاسع عشر من آذار ١٩١٧، كانت السيدة دوروثي سبيرمان في غرفتها في أحد فنادق كالكوتا ترضع ابنها الصغير وإلى جانبها ابنتها. شعرت بوجود أحدٍ خلفها فنظرت وإذا بأخيها الجندي في الجيش البريطاني واقفٌ وراءها. ففرحت وقامت لتضع ابنها في السرير وتجلس إلى أخيها، فلم تجده. نفت ابنتها قدوم خالها إلى غرفتهم. وبعد أيام، وصلها خبر سقوط أخيها على جبهة الحرب مع الألمان في الوقت الذي رأته فيه خلفها.

الحالة التالية أصابت شهرةً واسعةً، واعتبرت برهاناً على العيش بعد الموت. في حزيران عام ١٩٢٥، رأى جايمس شافيّن، من نورث كارولينا، أباه في الحلم مرتدياً معطفه الأسود. وقال: «ستجد وصيتي في جيب المعطف» وكان الأب مات منذ أربع سنوات تاركاً المزرعة لابنه الثالث مارشال دون أن يتذكر زوجته أو أولاده الثلاثة الآخرين. أما الوصية، فبقيت مفقودة دون أن يبحث عنها أحد.

في صباح اليوم التالي، هرع جايمس إلى والدته يسألها عن معطف أبيه الأسود فأخبرته أن أخاه جون أخذه، فركض إلى بيت أخيه. بعد أن فتق بطانة الجيب الذي أشار إليه والده في الحلم، وجد ورقةً عليها: «إقرأ الفصل السابع والعشرين من سفر التكوين في كتاب العهد القديم الذي كان لوالدي جدكم».

بعد أن اتخذ الجميع أحد الجيران شاهداً، ذهب جايمس إلى منزل أمّه وأتى بالإنجيل القديم. وفي الفصل السابع والعشرين، وجد الجميع وصية أخرى فيها تقسيم للثروة على الزوجة والأولاد بالتساوي. رفض مارشال أول الأمر تنفيذ الوصية الجديدة طاعناً فيها، لكن عشرين شاهداً شهدوا أن الخط هو خط يد الأب. إن رمز الفصل السابع والعشرين من سفر التكوين يكمن في احتوائه

على قصة يعقوب الذي دفع أباه الأعمى إسحاق إلى حرمان أخيه من الميراث. لا بد أن فكرة الفصل السابع والعشرين راودت الأب قبل موته بقليل، فنص هناك وصيته وتركها ليجدها أولاده وزوجته بعده لكن العائلة غير المتدينة خبأت الإنجيل ولم تكترث لقراءته.. وعندما يئس من عائلته، ظهر على ابنه... وجرى ما جرى.

في العام ١٨٦٩، كان السيد والسيدة «ب» مستلقيين في مخدعهما الزوجي جنباً إلى جنب عندما انتصب أمام السرير رجل بثياب البحارة. فرأته السيدة «ب» وقالت لزوجها: «ويلي! من هو هذا الرجل» ما إن نظر ويلي حتى صرخ: «ماذا تفعل هنا يا سيدي؟! فأجابه «ويلي!» وما إن وقف ويلي، حتى استدار البحار واجتاز الغرفة واخترق الجدار مختفياً خلفه. تقول السيدة «ب» إن

في أحد الأيام الصيفية قبل مئة عام، كان النبيل الإنكليزي كانون بورن يصطاد الثعالب مع ابنتيه. وبعد وقت طويل، قرّرت الفتاتان العودة إلى المنزل برفقة مدربهما، بينما أكمل الأب طريقه. تأخرت الأختان خمس دقائق لوصول أحد الأصدقاء وانجرارهما في حديث معه ـ «وبينما كانتا عائدتين إلى المنزل ـ تروي لويزا بورن ـ رأينا أبانا يلوّح لنا بقبعته من بعيد وكأنه يطلب منا اللحاق به. كان هو، وكان حصانه الأبيض ملوّناً بالوحول، حتى رأيت دمغة نوع القبعة في داخلها. ولما تبعناه، أضعناه في الأدغال. وبعد أن بحثنا عنه، قررنا الرجوع إلى المنزل. فلما وصلنا وجدنا أبانا في البيت وأكّد لنا أنه لم يلتقِ بنا أبداً».

المهم في هذه الرواية، غير دمغة القبعة، أن أزمة أو موتاً لم يحصل. فكانون بورن لم يتعرض لأي حادثٍ كما ظنّت البنتان، كما أنّه لم يوشك أن يقع تحت أي خطر، الأمر الذي يؤدي عادةً إلى نداء تخاطري طلباً للنجدة.

البحار كان حقيقياً، وعندما مرّ قرب الضوء رأت خياله في أرض الغرفة.

وعندما علما أنّهما شاهدا شبحاً، بدأت السيدة «ب» بالخوف على أخيها الذي يخدم في البحرية، لكن السيد «ب» طمأنها وقال: «هذا أبي» أبوه ميتٌ منذ سنوات طويلة.

بعد هذه الزيارة المفاجئة، مرض السيد «ب» لأسابيع عديدة. وعندما شفي من مرضه أخبر امرأته عن شريكٍ له يحاول انتهاز فرصة تدهور أحواله المالية ليدمره ويدخله السجن، مقتنعاً أن زيارة الشبح كانت بمثابة تحذير له.

رسالة غامضة

في الثامن من آب ١٩١٥، تلقى السّير أوليفر لودج رسالة من ليونور بيبر، الوسيطة الروحانية في بوسطن، وفيها إشارات مبهمة إلى قصيدة لشاعر روماني قديم يتحدث عن شجرة أصابها البرق. فسّر لودج الأمر على أنه إنذار مبكر لحصول كارثة. كان مرسل الرسالة من طريق الوسيطة أحد أصدقاء لودج المتوفين واسمه فريدريك مايرز. وبعد أسبوع فقط، سمع لودج خبر وفاة ابنه الأصغر رايموند في الحرب.

بعد ذلك، نقل عدد من الوسطاء رسائل من رايموند إلى والده، لكن هذا شكك في كل هذه الرسائل، خصوصاً وأنها تنص على قضائه وقتاً ممتعاً.

في الشهر التالي، زارت زوجة لودج إحدى الوسطاء اللواتي ذاع صيتهن، السيدة أوسبورن ليونارد التي لم يسبق لها أن التقت السيدة لودج. بعد قليل، أعلنت السيدة ليونارد أنها تنقل رسالة من رايموند يقول فيها إنه يقضي وقتاً ممتعاً برفقة أصدقاء والده المتوفين.

وعندما سُئِل عن اسمٍ محدد، أجابهم «مايرز».

وسيط آخر هو ڤوت بيرز نقل رسالة من رايموند إلى السيدة لودج فيها إشارة إلى صورة فوتوغرافية يظهر فيها.

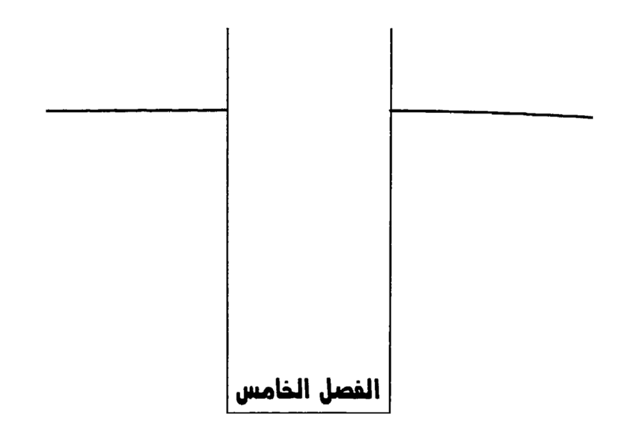
لم تكن العائلة تعرف شيئاً عن هذه الصورة. وبعد مرور شهرين، أرسلت والدة أحد الجنود الذين سقطوا في الحرب بصورة إلى عائلة لودج يظهر فيها ابنهم رايموند إلى جانب رفاقه في الجبهة. قبل وصول هذه الصورة، قام السير أوليڤر لودج بزيارة السيدة ليونارد، وسأل ابنه بواسطتها عن الصورة فأجابه أنها التقطت في الخارج، وأنّ أحد أصحابه أراد الاستناد عليه. وعندما وصلت الرسالة، كان الجنود جالسين الواحد قرب الآخر، ورايموند في الوسط، وعلى كتفه كوع رفيق له

الشبح الحزين

لنختم هذا الفصل، نورد هذه الرواية الأخيرة.

في شباط ١٩٣٢، رفض أحفاد صامويل بول النوم مؤكدين أن أحداً ما يقف خلف الباب. وعندما استكشفت الأم الغرفة، لم تجد أحداً. بعد ذلك بقليل، رأت الأم وبناتها صورة صامويل بول الميت منذ حزيران الماضي تعبر الغرفة، تصعد السلم وتجتاز الباب المقفل إلى الغرفة التي مات فيها، فبدأت العائلة بالصراخ.

كان الشبح يعرف بوجود عائلته في البيت، فظهر عليهم مراراً وكأنه رجلٌ حقيقي، إلى حدٍ سمح للبنات بملاحظة البقع البيضاء على يده، كما لاحظوا الحزن في وجهه، فاعتقدن أنه حزين لسوء أحوالهم المعيشية ولسوء حالة المنزل الرطب. وعندما قررت العائلة الانتقال إلى منزل آخر قدمته الحكومة، تغيرت سيماء الشبح من الحزن إلى الفرح.



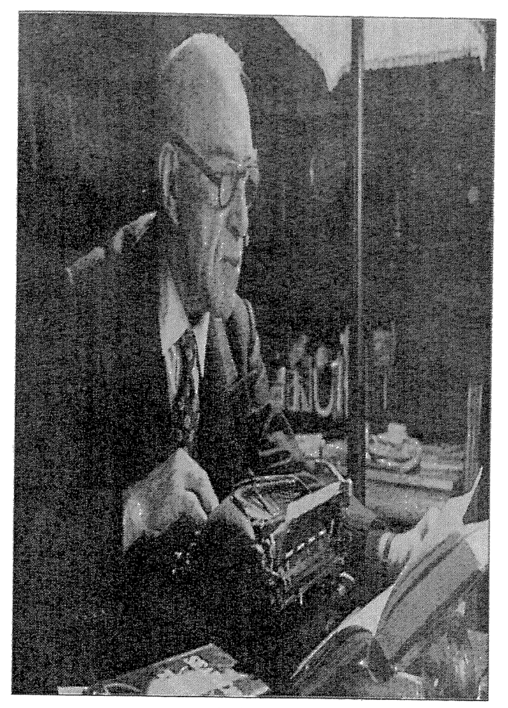
التمرين الروحي

فتاة في عجلة من أمرها

أستطيع المساهمة في إعطاء مثل يؤكد وجود القرين الروحي. فمنذ أيام مضت، مرّت مساعدتي الشخصية (بام) في تجربة غريبة. فقد توقفت سيارتها عن الدوران بسبب عطلٍ ما، فأخّرها ذلك عن عملها الثاني في المدرسة المحلية. ما إن وصلت أخيراً حتى بادرها أحد زملائها يسألها لمَ غادرت المدرسة ثانيةً. فاستغربت السؤال طالبةً منه شرح مقصده، فأجابها: «وصلتِ منذ نصف ساعة... والآن وصلتِ ثانيةً. وعندما أكدت له أنها وصلت لتوها، نظر في وجهها ضاحكاً لا يصدق.

زملاء لها أكّدوا لها وصولها مبكراً شاحبة ومنزعجة تحمل هذا الملف نفسه الذي تمسك به الآن، فكلمها أحدهم لكنها لم تردّ بل استمرت في المشي. لكن هؤلاء اختلفوا في الرأي إذ قال معظمهم إنها كانت ترتدي معطفها الأسود التقليدي، بينما هي الآن مرتدية معطفها الجديد لأول مرة.

اعترفت بام أنها فكرت ملياً بعملها وهي تلح على السيارة



هاري برايس، عالم الروحانيات

ليدور محركها. ففي طريقة غريبة، بثَّ قلقها صورةً لها في المدرسة رآها ثلاثة من زملائها. هناك الكثير من هذه الروايات في أرشيف الأدب الروحي، كلها متشابهة إلى حد ما.

السبت الفكري

بعد إنشاء رابطة الأبحاث العقلية Society Of Psychical Research عام ١٨٨٢، قام فريق من ثلاثة رجال يجمعون تجارب الآخرين الدالّة على «تهيؤات الأحياء» أي تجارب رؤية أناس في أماكن بعيدة كثيراً عن التي كانوا فيها حينها، وكان كتاب «تهيؤات أو تخيلات الأحيـاء» Phantasms of Living الضخم نتاج الأبحاث تلك، وكلها تتحدث عن الأحياء دون الإشارة إلى الأموات. فعلى سبيل المثال كانت السيدة ساراه هال وزوجها وصديقين يتناولون طعام العشاء في المطعم عندما شاهدوا شبح ساراه في الطرف الآخر من المطعم جالساً إلى طاولة يأكل، لكنه ما لبث أن اختفى إلى غير رجعة. هذا الشبح من نوع «القرين الروحي» (Dappllgangers)، يلتقي ونظرية ليثبريدج الذي يؤكد أنه شكل من أشكال البث التلفزيوني الفكري.

قضية بيرد

في عام ١٨٩٠، ارتبط رجلٌ اسمه بيرد Beard بآنسة من عائلةٍ نبيلةٍ اسمها الآنسة ڤيريتي Verity. بعد أن أنهى قراءة كتاب يتناول قوى العقل المجهولة، قرر ذات ليلة أن يظهر لخطيبته، فجلس في كرسيه مركزاً فكره في ما يريد. بعد لحظات، أراد تحريك جسده لكنه عجز عن ذلك. ثم أفاق بعد ساعات ليجد نفسه ما يزال في كرسيه.

في اليوم التالي، أخبرته خطيبته أنه كان في غرفتها البارحة، وأكدت ذلك أختها الكبيرة التي تشاركها الغرفة، وأنه اختفى بعد قليل من ظهوره.

كرر بيرد ما فعل، فظهر في غرفة ڤيريتي وأمسك بشعرها وبيديها، ما يدل على أن يديه كانتا صلبتين.

يقول بيرد إنه بذل جهداً فكرياً لا يمكن وصفه خلال هاتين التجربتين لكنه الآن يرسل صورته حيث يشاء بسهولة.

أهم ملاحظات بيرد اعتقاده الدخول في حقل من التنويم المغناطيسي عندما حاول أن يتحرك دون أن يفلح. يبدو أن التنويم المغناطيسي قادر على إفلات القوى الداخلية التي نجهل وجودها من عقالها، فيتحول الإنسان إلى محتكمٍ على ذاتين: ذاتٌ تقليدية يومية، وذات أخرى داخلية لا نعي وجودها تشبه قسم جبل الثلج الموجود تحت سطح الماء.

في حقبة الحروب النابوليونية، كان الألماني ويزرمان يحاول جاهداً إرسال شبحه لأناس مختلفين. في إحدى الليالي، قرر أن يرسل شبح شخص غيره، فظهرت امرأة توفيت قبل خمسة أعوام في أحلام الملازم ن. قرابة العاشرة والنصف ليلاً.

أثناء حدوث ذلك، لم يكن هذا الملازم قد أوى إلى فراشه بل كان يزور صديقه الملازم س. كانا يتحادثان ثم نهض ن. يبغي الدخول إلى غرفته حين انفتح باب المطبخ بحسب رواية س.، «ودخلت سيدة شاحبة جميلة الوجه، ترتدي فستاناً أبيض وحجاباً أسود طويلاً يصل إلى ما تحت وسطها. حيّتني بيدها مرات ثلاثاً واستدارت صوب ن. وحيّته تحيّة مماثلة، ثم انسحبت بهدوء كما دخلت».

إنها حالة مثيرة جداً إذ تصرف الشبح بحسب الوضع الذي وجد نفسه فيه دون علم الوسيط الروماني. فهذا اعتقد أن ن. سيكون نائماً. لقد تصرف الشبح وكأنه إنسان حقيقي في تحيّة هذين الرجلين.

عندما يتم تنويم إنسانٍ مغناطيسياً، تنام الذات التقليدية بينما تبقى الذات الأخرى مستيقظة تفعل الأعاجيب. النظرية المحتملة لتفسير حالة بيرد تقول إن الجهد الكبير الذي قام به نوّمه مغناطيسياً فقدر بذلك الظهور في غرفة خطيبته.

قضية إيميلي ساجيه

استمرَّ انتقال المدرّسة إيميلي ساجيه من مدرسة إلى أخرى لتعمل تأميناً للرزق. فكانت تطرد من المدارس بسبب قرينتها التي تظهر على الطلبة وتخيفهم. في أحد الأيام، كانت إيميلي في الحديقة عندما ضج طلاب أحد الصفوف حال غادرت معلمتهم الغرفة. لكن هؤلاء دهشوا عندما رأوا إيميلي تجلس في كرسي الأستاذ، بينما هي تقف خارج الصف في الحديقة. إحدى الطالبات الجريئات تقدمت من القرينة ولمست يديها، فوجدت بشرتها ناعمة كملمس الحرير.

لم تستطع المسكينة إيميلي من السيطرة على قرينتها، فبقيت تنتقل إلى مدرسةٍ أخرى بعد أن تطرد من الأولى، حتى أقدمت أخيراً على الانتحار.

ممكن أن ترد هذه الظاهرة إلى مفهوم التخاطر عن بعد لكن هناك ما يناقض هذه النظرية، إنه اللمس. فهل ينسحب التخاطر على وهم اللمس؟ هل معقول أن تتمكن القوى المجهولة والغريبة أن تشتمل على قوة إرسال أجسادنا الصلبة إلى أماكن أخرى في العالم؟

إلى كل القصص والروايات التي وردت نضيف هذه التي تحكي عن فتاة أوقفت شرطياً دراجاً في الهند وسألته أن ينقلها إلى

أنهى الشاعر الألماني «غوته» علومه في ستراسبورغ ـ كان بعمر ٢٢ عاماً ـ وبدأ التحضر للعودة إلى بلده. أثناء إقامته في ستراسبورغ، وقع في غرام ابنة راعي الأبرشية في المنطقة. أحبّها لكنه لم يشأ الارتباط أبداً. زار غوتة حبيبته فريديريكا زيارة وداعية، انصبت الدموع من عينيها عندما صافحها وحزن كثيراً لذلك. ويروي غوتة رؤياه الغريبة: «بينما كنت راحلاً عن المدينة رأيت ـ بعيون الروح لا بعيون الجسد ـ نفسي داخلاً إلى المدينة مرتدياً بذّة لا أملك مثلها، بذّة رمادية مزينة بالخيوط الذهبية، لكن هذه الرؤيا اختفت فوراً... وبعد ثمانية أعوام، وجدتُ نفسي على الطريق نفسه أزور فريدريكا مرتدياً البذّة التي رأيت في الحلم».

برغم اعتبار رؤية القرين نذير موت، إلا أن غوتة لم يفسّره هكذا أبداً، بل عندما أراد القيام بزيارته كان مطمئناً إلى أنه سيصل ستراسبورغ سليماً.

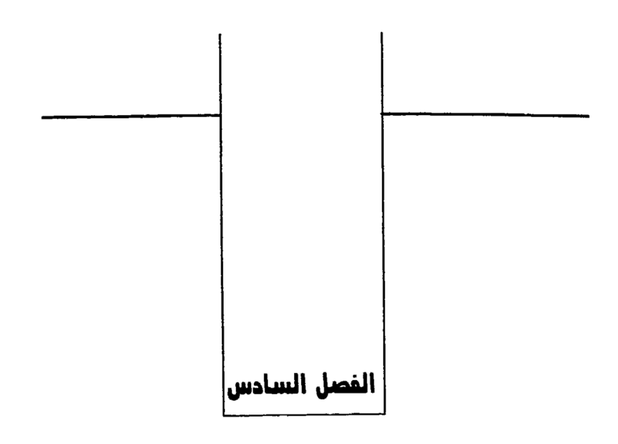
أحد العنواين، وعندما وصل، كانت الفتاة قد اختفت. بحث في الأمر، وتعرّف إلى صورةٍ للفتاة هذه داخل ملف المتوفين إثر الحوادث. فقد ماتت هذه الفتاة في المكان نفسه حيث أوقفت الشرطي.

وحصل أمر مشابه في مكان آخر. ففي إحدى الليالي عام ١٩٧٩، كان رجلٌ اسمه فولتون يقود سيارته عائداً إلى البيت عندما أشار إليه أحدهم بنقله معه، فنقله دون أن يتكلم. وبعد قليل، تناول علبة لفافات التبغ عارضاً على ضيفه التدخين فما وجده... اختفى. هلع فولتون وأوقف سيارته سريعاً قرب حانةٍ وطلب إلى الساقي كأساً من الكحول القوية، ثم ذهب إلى مركز الشرطة الأقرب وروى للضابط ما جرى بالضبط.

أحد المفتشين من رابطة الأبحاث العقلية التقى فولتون وحادثه

مشككاً في حديثه، لكنه تأكد عندما زار مركز البوليس والحانة التي دخل إليها الرجل مرتجفاً وخائفاً.

هل هؤلاء أشباح موتى فقط، أم أحياء أرسلوا صورهم تخاطرياً إلى أماكن أخرى؟ من يدري؟!.



الفصل السادس

الهامات Vampires

الهامات التي تمص الدماء

هل الهامات موجودةٌ؟ يبدو السؤال سخيفاً لأنَّ إنساناً سليماً لن يجده جدياً أبداً. في هذا الفصل، ستتم معالجة بعض الروايات حول الأموات الذين يخرجون من قبورهم ليلاً، هذه الروايات التي ستجعل إلهامات مشابهة للأشباح الضاجّة، لكن بقوانين مختلفة قليلاً.

أولاً، يجب إبداء ملاحظة هامة: إن الفكرة الشائعة عن مصاصي الدماء نشرها كل من بيلا لوغوسي وكريستوفر لي في أفلامهما. فإن أصل الفكرة أسطوريٌّ خالص.

بدأ كل شيء عام ١٨١٦، عندما اضطر اللورد بايرون مغادرة إنكلترا تحت وطأة الغضب الجماهيري، فرافقه في رحلته طبيبه الخاص جون بوليدوري، وصديقه الشاعر شيللي وزوجته ماري شيللي. سكن هؤلاء في منزل كبير يطل على بحيرة جنيف في سويسرا وبدأوا التحدث عن الأشباح، فكانت النتيجة أن خطت ماري شيللي قصة فرانكنشتاين، وبدأ بايرون رواية أسماها «الهامة» The Vampyre.

كتب بايرون بضع صفحات ثم توقف، فاندفع طبيبه الملحاح إلى إكمال الكتاب. تروي الرواية عن نبيل اسمه لورد ريفين كان يغوي الآنسات الصغيرات ويتركهن جثثاً هامدةً جافةً خاليةً من الدماء. طبع الكتاب عام ١٨١٩، فأصاب نجاحاً باهراً وتحول إلى أوبرا شعبية بيد الموسيقار مارشينر. أما بولدوري، فانتحر بعد ذلك بقليل.

عام ١٨٤٩، ظهرت رواية أخرى منسوجة على منوال رواية بوليدوري، مضافاً إليها بعض التفاصيل تناولت شكل مصاص الدماء، كأن تصبح عيناه من الصفيح اللامع مثلاً. وتحسنت هذه النسخة على يد برام ستوكر عام ١٨٩٧ عندما أخرج إلى العلن مؤلفه الرائع «دراكولا»، الذي صار مصدر الوحي في كل القصص الحديثة التي تتناول ماصّي الدماء. الكونت دراكولا هو ملك والاشيا الذي يطلق عليه اسم فلاد المخوزق ـ ولقب هكذا لأنه اعتاد قتل الناس على الخازوق ـ والذي مات في الحرب عام ١٤٧٧.

كيف بدأت قصة الهامات التي تمص الدماء؟

تبدأ الرواية مع إخراج الأتراك من شرق أوروبا عام ١٧١٨ على يد امبرطور النمسا شارلز السادس. وكان الأتراك احتلّوا أوروبا

آمن البشر بماصّي الدماء منذ أقدم الأزمان. وتعود الأساطير إلى قرون قبل ميلاد المسيح، إلى البابليين والآشوريين، محتفظة بعامل مصّ الدماء، السائل المحي. وثابر الأزتيكيون، قدماء حكموا المكسيك، على سكب الدم في أفواه أوثانهم، وشرب الأمراء الهنود الدم من الرؤوس المقطوعة. أما في الصين، فتقوم العائلة بحراسة جثمان الميت ليلة دفنه لئلا تقفز عليه هرّة (أو كلب) فيتحول إلى ماص دماء.

الشرقية بما فيها ترانسيلفانيا ووالاشيا وهنغاريا والقسطنطينية عام ١٤٥٣. خلال الفترة الأخيرة من الحروب الأوروبية ـ العثمانية، قام فلاد المخوزق بهجمات عنيفة ضد الأتراك حتى قطعوا رأسه عام ١٤٧٧. وبعد هزيمة الأتراك، بدأ الناس يتكلمون عن أمواتٍ يهاجمون الأحياء ويقتلونهم، خصوصاً في اليونان.

في الأول من كانون الثاني عام ١٧٠١، حضر العالم الفرنسي بيتون دي تورنغور إلى الجزيرة واشترك في تشريح فلاح قتل هناك، وظهر شبحه في الحقل الثاني حيث كان يعمل، وليلاً في القرية حيث كان يقلب أثاث البيوت ومضايقة الناس. وبعد عشرة أيام على دفنه، حضر الناس الغاضبون قبره لإخراج الشيطان منه وطلبوا من جزار القرية استئصال قلبه، لكن هذا لم يعرف كيف يصل إلى القلب فبقز بطن الميت ما اضطر الناس إلى إحراق الأمعاء التي خرجت خارج الجثة. وما لبث الناس أن بدأوا الصراخ لانبعاث الدخان من جثة الميت نفسها. برغم حرق القلب، بقي الشبح يجوب القرية، ما اضطر الناس إلى المطالبة بإحراق كل الجثة... وهذا ما حصل.

بدأت حمى ماصّي الدماء بالانتشار بين عامي ١٧٣٠ و١٧٣٥ إنطلاقاً من قرية ميدونيا قرب بلغراد حين روى أحد الجنود لحبيبته كيف هاجمه ماصٌّ للدماء، وكيف تخلص من لعنته عندما دمّر له قبره. وعندما مات الجندي بعد ذلك بقليل، ظهر شبحه في الليل على المارّة في الطريق.

بعد مضي عشرة أسابيع، زعم بعض أهل القرية أنهم رأوا شبحه يتردد إلى بيوت الناس، فهاج الشعب وماج، ونبش قبره الجندي فوجدوا الدم رطباً. وضعوا الثوم في النعش وغرزوا سكيناً في قلب الجثة.

آمن الإغريق القدماء، وبعدهم الرومان، بوجود ماصّة للدماء أنثى تدعى (لاميا)، تغوي الرجال من أجل أن تمصّ دمهم. بعد ذلك، كان للإغريق اسم آخر أطلقوه على ماصّ الدماء: فروكالاكوس، أي المخلوق القادر على إحياء الأموات، والذي يقتصر ضحاياه على الأحياء. وفي اليونان، كان الناس يشتبهون بأي إنسان ذي شعر أحمر أو ندبة في وجهه أو عينين خضراوين أن يكون ماصّ دماء، إضافة إلى المولودين يوم ميلادالمسيح، والولد السابع وذي شق في الشفة العليا وكل غريب الطباع.

ثمة إشارات أبكر إلى الهامات. فالأخصائي الفرنسي في هذا المجال جان ماريغني يقول: «قبل أن تكتشف كلمة هامة، اعتقد الناس بوجود أمواتٍ يتركون القبور ليهاجموا الناس ويمصوا دمها..» والمجلة الأقدم التي تورد في صفحاتها هذا الأمر لاتينية تصف هؤلاء الأموات بماصّي الدماء. وهي مجلة يعود تأريخها إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وبخلاف ما قد يتوهم المرء، تروي المجلة حوادث حصلت في إنكلترا وسكوتلاندا، وليس فقط في الأجزاء النائية من أوروبا».

يقصّ جان ماريغني قصصاً عديدةً ينقلها عن المؤرخ ويليم من نيوبورغ الذي عاش في القرن الثاني عشر. إحداها تتناول سيرة ميتٍ عاد في اليوم الذي تلى دفنه وهاجم زوجته. وعندما أراد مهاجمتها في اليوم الثالث ذعر شبحه وهرب خوفاً من صراخ المرأة وجيرانها الذين أتوا لنجدتها. عند ذلك، بدأ الشبح يخيف الناس ويهاجم الحيوانات. من المؤكد أنه شبح إذ هناك أناس لم يروه برغم إشارات الآخرين إليه، لكنهم أحسّوا بقوّة غريبة حاضرة أمامهم. استعان رئيس الشمامسة بالأسقف طلباً لمشورته، فنصحه هذا

بإحراق الجثة، لكن رئيس الشمامسة رفض ذلك ونص رسالة غفران من الخطايا. وعندما فتح القبر، وجدت الجثة كما هي حين وضعت فيه. دس رئيس الشمامسة رسالته تحت الجثمان وأقفل القبر كما كان. بعد ذلك، اختفى الشبح وما عاد إلى الظهور.

هناك الكثير من الروايات المشابهة، حصلت كلها في القرن الثاني عشر قبل أن تسمع أوروبا بأخبار الهامات من الأتراك الذين حكوها، واحدةٌ فقط بينها نصت على مصّ الدماء.

على كل حال تمحورت القصص حول أمواتٍ تهاجم الأحياء، تلحق بهم إلى مخادعهم عندما ينامون، تخنقهم وتمتص دماءهم لتتركهم دون حيوية أو طاقة. وعندما كان الناس يخرجون الجثث من قبورها، كانت هذه سليمة دون تآكل أو اهتراء. لهذا، يبدو أن لا اختلاف بين هامات عام ١٧٣٢ وبين هامات القرن الثاني عشر. وإذ فكّرنا ملياً بهؤلاء ماصّي الدماء، وجدناهم يشفون طاقة ضحاياهم لا دماءها. بغض النظر عن مسألة الدماء هذه، يشبه هؤلاء العائدون من القبور الأشباح الضاجّة التي أسهبنا في الكلام عليها.

من أخبار القرن السادس عشر، هذه رواية إسكافي ذبح نفسه انتحاراً عام ١٥٩١. وبما أن الانتحار خطيئة، خبأت المرأة نبأ الذبح وأفادت أن زوجها توفي إثر نوبة قلبية. غسلت المرأة جسم زوجها وألبسته لباساً بياقة عاليةٍ أخفت جرح الانتحار في العنق. دفن الإسكافي في اليوم التالي. وبعد أيام، ظهر شبح الإسكافي في الطرقات، وشرع يهاجم الناس ويشد على أذرعهم شداً مؤلماً تاركاً على بشرتهم آثار أظافره. بعد أن اشتد هجوم الشبح، قرر المجلس البلدي إعادة فتح القبر. ولما فتحوه، وجدوا جثة الإسكافي سليمة

منيعة من أي اهتراء أو رائحة، لكنها منفوخة كالطبل، وعليها جلدٌ جديدٌ نبت مكان الجلد القديم، حتى جرح العنق كان كما لو حدث البارحة. مددت الجثة تحت مشنقة، لكن الشبح بقي على أعماله الشريرة. فأمر المجلس بفتح القبر ثانية وقطع رأس وأطراف الجثة. كانت الجثة أنضر وأنعم ملمساً. ولما أخرج الناس القلب، كان كالوردة المتفتحة لا يمتّ بصلة إلى رجلٍ ميت. لكن ذلك لم يردع الشبح، ما اضطر المجلس إلى إصدار الأمر بحرق الجثة ونثر رمادها في البحيرة القريبة. عند ذلك، اختفى الشبح دون رجعة.

تكاد هذه القصص أن تعصى على التصديق، لكن إثبات حالة الجثة النضرة ذات الدم الطازج يدفعنا إلى التفكير أننا نتعامل وحوادث حقيقية.

لكن ما هي هذه الحوادث الحقيقية؟ قبل الاستفاضة في التعليق هذه قصة أخرى حصلت في العام نفسه (١٥٩٢) في مدينة «مور». كان أوهانس كونتيوس متجهاً إلى بيت عمدة المدينة ليشارك في عشاءٍ هناك كونه عضواً في المجلس التشريعي للمدينة. وفي الطريق تعرض الحصان لحادث بسيط فخسر حذوةً حديدية. ترجّل كونتيوس عن حصانه ليتفقد قوائمه، فرفسه رفسةً قويةً طالت رأسه. أضاعت الضربة رشد كونتيوس، فقام يمشي بين الناس صارخاً أنه من الخطأة وأن جسده يحترق. عندما رفض زيارة كاهن المدينة قال الناس أنه تعاقد والشيطان ليكون خادمه.

عندما كان كونتيوس في النزع الأخير، تسللت قطة سوداء من النافذة وهاجمته تاركةً آثار جروحٍ في وجهه. لم يمضِ النهار حتى ودّع الدنيا.

يوم دفن (٨ شباط ١٥٩٢)، هبت عاصفة هوجاء استمرت حتى ووري الثري في المدافن قرب الكنيسة.

قبل أن يدفن، شاعت أخبار مفادها أن شبحه ظهر على الناس وحاول اغتصاب امرأة كانت تمرّ في الشارع. وبعد الدفن، استشاط الشبح غيظاً وأخذ يقذف بالأشياء على الناس، ويفتح الأبواب ويهز البيوت بأركانها. طلبت زوجته من خادمتها المكوث في سريرها، فأتى الشبح طالباً النوم في مخدعه الزوجي قرب زوجته. أما كاهن الأبرشية فحلم به يشد على يديه، واستيقظ منهوك القوى.

إزاء هذه الحوادث، أمرالعمدة أن تحرق جثة كونتيوس، فأخرجت من المدفن كما دخلت إليه بل أكثر نضارة وشباباً، وأحرقت تماماً.

من هنا، يمكننا الجزم أن أول قصص ماصّي الدماء تروي روايات الأشباح الضاجّة لا الأشباح التي تمص دماء الناس.

أما الحالات التي تحدث في شرق أوروبا، فهي مشابهةٌ جداً لقصص «الامتلاك الشيطاني».

جلس جندي هنغاري - من حرس الحدود مع النمسا - إلى جانب مزارع وعائلته يتناول معهم طعام الغذاء عندما رأى رجلاً مسناً يجلس قربه. لم يأبه له الجندي لكنه رأى العائلة مصدومةً ومذعورةً لرؤية هذا العجوز. أما هذا الأخير، فلمس كتف المزارع وقام راحلاً عنهم. في اليوم التالي، علم الجندي أن المزارع مات منذ عشرة أعوام. وعندما زار ولده فهو أنبأه بالموت وسببه له بلمسة.

أخبر الجندي رفاقه في الكتيبة قصة المزارع، فأطلق الجميع على العجوز لقب الميت الحي. رغم أنه لم يأخذ دماً من ابنه، لكن حضوره أكد انتماءه إلى الأموات الأحياء. بدأت الرواية تسري بين الجنود كما النار في الهشيم فرصدت قيادة الكتيبة ضابطين وطبيباً للتحقيق. استجوبت عائلة المزارع تحت القَسَم، وأخذت شهادات

الكثير من المواطنين، وقررت اللجنة فتح قبر العجوز وإخراج جثته، فكانت هذه أشبه بجثمان حديث الدفن، وكان الدم فيها يعج بالحيوية كدم إنسان حي يرزق. أمر قائد الكتيبة قطع رأس الجثة وأعيد إلى قبره ثانيةً.

أثناء التحقيق، أخبر الفلاحون الضباط عن ماصّ للدماء آخر عاد بعد عشرة أعوام على موته ليمص دماء أقربائه وأفراد عائلته. وهذه مسألةٌ تستوقف الباحثين إذ أنّ أفراد عائلة الميت وأحباءه هم أول ضحاياه. ففي حالةٍ أخرى في قرية نائية في يوغوسلافيا، ماصٌّ للدماء قتل أخاه وبنات أخيه الثلاثة. وقوطع عندما كان يستعد لمص دماء الإبنة الرابعة ـ أو ضحيته الخامسة في الليلة نفسها ـ فهرب. وما إن وصلت الأخبار إلى السلطات المركزية في بلغراد حتى أرسلت لجنةً من الرجال الموثوق بقدراتهم العقلية والنفسية للتحقيق في الحادث. وصلت اللجنةُ إلى قبر الميت عند الفجر يرافقهم الكثير من أبناء القرية. كان قد مرّ سنوات ثلاث على دفن الميت الحي، لكن جثته كانت كما هي بشعرها وعيونها وأظافر أصابعها وأسنانها، دون أن يمسها تآكل أو اهتراء. ووجد المحققون قلب الميت ينبض (هنا يبدأ الشك..) وعندما قام هؤلاء بغرز سكين حادٍ في القلب، نزف دماً نضراً وسائلاً أبيض امتزج بالدم. بعد ذلك، قطعوا الرأس بالفأس. وما إن تمّ دفن الجثة مرّة أخرى في مكانها حتى تحسنت حال الإبنة الصغيرة التي كادت أن تكون ضحية ماصّ الدماء الخامسة.

كيف يتحول الميت إلى ميت حي أو ماصٍ للدماء؟ هنا الإجابة. قتل جندي هنغاري تحت عربةِ خيلٍ كان يصلحها عام ١٧٣٢. وبعد ثلاثين يوماً، عاد وقتل أربع ضحايا ماتوا جميعاً، كما مصاصي الدماء، إثر ضعف بسبب فقدان الدم. عندئذٍ، تذكر رفاق

الجندي باول أنه حدثهم عن ماصٍ للدماء هاجمه أثناء خدمته على الحدود التركية الصربية، لكنه تخلص من لعنته بأكل بعض التراب من على قبر الميت الحي. لكن يبدو أن هذه الوصفة لم تنجح، إذ عندما كشف عن جثته، كانت ككل جثث ماصّي الدماء: ممتلئة نشاطاً وحيوية، بأظافر طويلة وشعر ولحية ناميين وبأوردة يجري فيها الدم الحي. أمر الحاكم المحلي أن تغرز السكين في قلبه ثم أحرقت الجثة كاملة. كذلك حصل لضحايا باول الأربعة قبل أن يتحولوا إلى ماصّي دماء بدورهم.

لكن هذه الإحتياطات لم تجدِ نفعاً إذ بعد خمس سنوات قتل ١٧ شخصاً جراء هجمات الأموات الأحياء. وأفادت امرأة أن ابنها الميت عاد بعد ٩ أسابيع وهاجمها في سريرها محاولاً خنقها بيديه، وماتت هذه المرأة بعد ثلاثة أيام. وعندما فتح التحقيق من جديد، توصل المحققون إلى أن الجندي باول كان هاجم بعض الحيوانات وشرب من دمها. فلما ذبحت هذه وأُكلت، سبّبت انتشار حمّى مصّ الدماء. لذلك، قام أعضاء لجنة التحقيق بغرز السكاكين في قلوب الضحايا وقطع رؤوس جثثهم وإحراقها ورمي رمادها في النهر. كانت هذه الإجراءات فاعلة جداً أوقفت موجة الرعب وطمأنت الأهالي.

أحد الصوفيين القبارصة ـ داسكالوس ـ يفصل الامتلاك إلى ثلاثة: امتلاك من روحٍ إنسانية مريضة، امتلاك شيطاني، وامتلاك من الأفكار والشهوات. ويورد مثالاً على النوع الأول: «دق بابي عائلة فتاةٍ تدّعي أن شبح خطيبها المتوفى يلاحقها دائماً. فبرغم أنهما تساكنا لفترةٍ طويلةٍ إلا أنها منعته من معاشرتها قبل أن يتم زواجهما، لكنه ما لبث أن توفي إثر إصابته بداء السل، فرحل وفي نفسه شهوات لم ترتوِ». كانت الفتاة تتعرض لنوع من التنويم

المغناطيسي عندما تدخل غرفتها لتنام، ما يدفعها إلى إبقاء النافذة مفتوحة. وبعد ذلك، يتسلل هو إلى داخل خفاشٍ ويأتي إليها ليغرز أسنانه في عنقها ماصّاً منها الدم والحيوية.

كاهن القرية أرشد داسكالوس إلى كيفية التخلص من هذا الخفاش. فقضت الخطة أن يختبىء في الغرفة المجاورة حتى إذا سمع الخفاش يدخل غرفة الفتاة هبّ مسرعاً وأغلق النافذة وضرب الخفاش بمكنسةٍ. بعد ذلك، يقوم بلفّ الخفاش بقطعةِ قماشٍ ويحرقه. وعندما كان داسكالوس ينفذ الجزء الأخير من الخطة، صرخت الفتاة متألمة: «لماذا تريد إحراقي؟» توقف الشبح بعدها عن ملاحقة الفتاة.

ويروي داسكالوس رواية أخرى فيها إشارات لماصّي الدماء. فأثناء رحلةٍ قام بها إلى جنوبي اليونان، التقى فتاةً أخرى يلاحقها شبح راعٍ وقع في حبها، ومات قبل خمسة أعوام بحادث سيارة. فبينما كانت تنظر إلى بعض القطعان، شاهدت الراعي - واسمه لويزو - فلحق بها حتى زرع فيها شعور التعب كي تتمهل وتجلس للراحة، حتى إذا جلست نوّمها مغناطيسياً وجعلها تختبر نشوة جنسية فائقة. عندما أبلغت الفتاة والدتها، عرضتها هذه على طبيب أكد أنها ما تزال تحتفظ بعذريتها. لكن بعد مرور ثلاثة أيام، أتاها الراعي إلى غرفتها وجامعها. أكد الطبيب عندئذٍ أنها فقدت عذريتها. لما فحصها داسكالوس، لاحظ وجود نقطتين حمراوين على عنقها. تقول الفتاة: «يقبلني في عنقي قبلاتٍ غريبة وكأنه يمتصني... كم أحب قبلاته..».

ويقول داسكالوس إنه رأى الراعي بعد يومين يدخل المنزل ويحييه، ولما سأله عن الأمر اعترف لويزو أنه لطالما رغب الفتاة لسنوات عديدة، والآن يمتلكها ولن يفلتها. فأقنعه داسكالوس بعد

جهد جهيدٍ أنه سيبقى في حالة الميت الحي لا يستريح طالما بقي ممتلكاً الفتاة، ووعده لويزو بالرحيل.. وهكذا كان.

أما الطبيب الذي فحص الفتاة فمقتنع أنها مزقت غشاء بكارتها بأصابعها، وقبل داسكالوس هذا الكلام مؤكداً أن لويزو دفعها إلى أن تفعل ذلك.

تقدم لنا هاتان الحالتان مفاتيح أخرى مثيرة تدلنا على طبيعة ماصّي الدماء. فبحسب داسكالوس، «روح الخطيب المكبلة بالأرض» كانت قادرةً فعلاً على دخول جسد خفاش لتصل إلى مبتغاها. إن ذلك تعبيرٌ عن رغبة الخطيب الجنسية، ورغبته في استملاك الفتاة، إلى جانب متعته في مصّ دمائها. ويضاف إلى ذلك ارتواء رغبته باستملاكها من طريق التحكم بمخيلتها. فعندما كنت أحرق الخفاش صرخت الفتاة (لماذا تحاول إحراقي؟!).

في حالة لويزو، نلاحظ دخول الراعي إلى داخل جسد الفتاة، وتحكّمه بمخيلتها بشكل كافٍ لإجبارها على تمزيق غشاء بكارتها بيدها. وهذا ما يدلنا على أن المجامعة لم تكن جسدية إذ أن لويزو لم يستطع امتلاك الجسد.

كل ما سبق يؤدي إلى أفكار مثيرة. ففعل الجماع، على ما يبدو، يستجلب تناقضاً بما أنه محاولة لولوج جسدٍ في آخر لا تنجح لكثرة ما يفرقهما. أفلاطون يفسّر هذا التناقض برواية أسطورةٍ مسلية: «كان الإنسان دائري الشكل فيه مميزات الجنسين، دفعته حيويته المتحررة إلى تحدّي الآلهة، فقرر الإله زوس معاقبة الإنسان فقطعه إلى نصفين كما تقطع التفاحة. ويقضي الناس الآن وقتهم في البحث عن النصف الآخر التائه».

يتضح إذاً أن أساس الشهوة الجنسية الذكرية هو شهوة الامتلاك، وأن أصل الإيلاج الجسماني فعل عدوانيٌّ. فعندما

يحتوي رجلٌ امرأة بين ذراعيه، يشتهي استشفافها بكاملها، فنرى إذاً أن ماصَّ الدماء ـ كلويزو مثلاً ـ قادرٌ على تحقيق ما يحلم به كل عاشق: امتلاك الأنثى الذي يواكب الإيلاج التامّ.

من كل ما سبق، نلاحظ أن «الأرواح الملتصقة بالأرض» تنجذبُ إلى حيوية الهالة الإنسانية، فتفعل كل ما بوسعها لتشارك الإنسان حيويته. يشدد الصحافي جو فيشر في كتابه «الأشباح الجائعة» على هذه النقطة بالذات. وجو فيشر من المؤمنين بالتقمّص، فيكتب عنه ويضمه في كلّ مؤلفاته. وفي أحد الأيام، بعد أن أجرى مقابلةً إذاعية تكلم فيها عن هذا الموضوع، تلقى إتصالاً من امرأةٍ ادعت أنها أمست لسان حال المتقمّصين، وذلك بعد أن خضعت لتنويم مغناطيسي لعلاجها من سرطان الدم. فقد بدأت الأرواح تتكلم بوساطة فمها.

عندما زار فيشر المرأة للمرّة الأولى، تكلم شبح اسمه «راسل» من فمها ليقول له إن مرشدته الروحية فتاة يونانية اسمها فيليبّا كانت عشيقته قبل ثلاثة قرون. هذا ما أدهش فيشر لأنه طالما أحسّ بحنين إلى اليونان وبرغبة دائمةٍ في الإقامة فيها.

بعد ذلك، قرر فيشر المثابرة على حضور الجلسات مع تلك المرأة سعياً وراء الإتصال بفيليبا، حتى وصل إلى مبتغاه فصار يشعر بوجودها قربه حتى في بيته. بنتيجة ذلك، فرّت صديقته التي كانت تسكن معه في البيت إذ اكتشفت أنها لا تستطيع التأقلم مع وجود الأشباح.

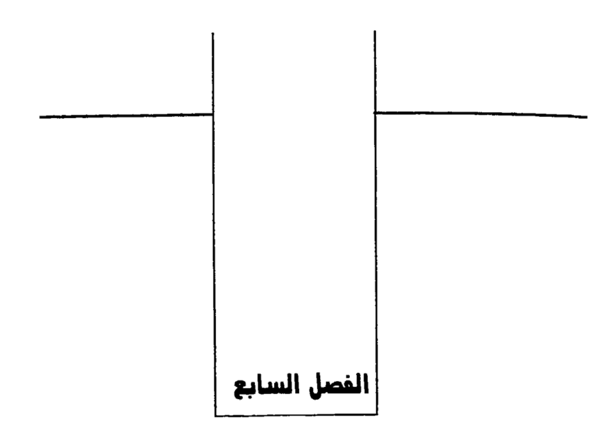
أناس آخرون حضروا الجلسات وتعرفوا على ملائكتهم الحارسة، أو مرشديهم الروحيين. أحد المرشدين كان طياراً سابقاً في القوات الجوية الملكية اسمه أرنست سكوت، فقرر فيشر البحث وراءه حتى يتأكد من الحقيقة، فاستكشف منطقة القتال التي وصفها الشبح

فكانت حقيقية، والمعركة أيضاً، واسم الكتيبة كذلك، إلا أن اسم أرنست سكوت لم يكن موجوداً. فعاد فيشر إلى المرأة متهماً الشبح بالكذب، فكلمه «المرشد» راسل قائلاً إن أرنست ولد ثانية في بريطانيا وأعطاه اسم والده ومكان سكنه. ولما تفقد فيشر ذلك لم يوفق في إيجاده. لقد كان الشبحان يكذبان.

وقرر فيشر أخيراً زيارة اليونان إذ لم يشكّ أبداً بوجود فيليبا، لكنه واجه مشكلة في تحديد مكان قريتها (ڤيروس) قرب الحدود التركية على الخرائط، وذلك بسبب تدمير القرية على يد الأتراك قبل ثلاثة قرون. لكن مدينة اليكساندروبوي التي أشارت إليها فيليبا ما تزال موجودة، فقصدها فيشر بعد يأسه في البحث عن أطلال ڤيروس، لكنه وجد أن بناءها تم منذ قرنين من الزمن على يد الإسكندر الكبير، أي لم تكن أبداً موجودة عندما كان فيشر وفيليبا عاشقين... أي كانت فيليبا كاذبة كغيرها من الأشباح.

في أحد فصول كتابه، يحاول فيشر شرح وتفسير ما حصل له. فيقول إنه علق في فخ «الأشباح المتعلقة بالأرض»، أي تلك التي لا تصدق أنها ماتت، أو التي ما تزال تتوهم لتعود إلى الأرض. في التيبت، يطلق على هؤلاء اسم «الأشباح الجائعة». إنهم كائنات لم يستطع عقلهم ـ عند موتهم ـ تجنب الوقوع في شرك الشهوة، فتبقى الشخصية مسجونة في هذه الدنيا محتفظة بذاكرتها وشخصانيتها.

أخيراً، نختم هذا الفصل بالتأكيد أن أساطير الهامات لا يمكن نكرانها أبداً، لكن الحقائق حول هؤلاء ماصّي الدماء قليلة الارتباط بخرافات دراكولا. لا اختلاف بين ماصّي الدماء والأشباح الضاجّة إلا في أنها أقلّ حدوثاً.



السرابات Phantoms

سراب طبّال في تيدوورث

إن قصة السراب الطبّال مشهورةٌ جداً بين قصص الأشباح البريطانية، سجّلها قسّ أوكسفورد جوزيف غلانفيل الذي ذهل لها فقرر التفتيش خلفها والتحقق منها.

حدثت هذه القصة عام ١٦٦١ في مدينة لودغيرشال عندما كان القاضي جون مومبيسّون يزورها. وبينما كان يحادث عمدتها، قطع عليهما الحديث دوي تطبيلٍ قويٍ وحادّ. ولما سأل عن مصدر الصوت قيل له إن شحاذاً يجوب الشوارع مطبلاً دون أن يتمكن أحد من إيقافه إذ في جيبه تصريحٌ موقعٌ من قاضيين يجيز له التطبيل.

أرسل القاضي مومبيسّون مرسالاً إلى الشحاذ يطلب منه الحضور للاستماع إليه. فأتى هذا الشحاذ ـ وكان اسمه ويليم درووري ـ مستجيباً لرغبة القاضي. وما إن سأله عن السلطة التي خولته أن يفعل ما يفعل في المنطقة، حتى سلّمه رسالةً بذيلها توقيعان: توقيع السير ويليم كاومي وإلى جانبه توقيع الكولونيل آيليفّ. لسوء حظ الشحاذ، كان القاضي مومبيسّون على معرفة

وطيدةٍ بهذين الرجلين، فتأكد أن التوقيعين مزيّفان، فأمر بسجن الشحاذ ومصادرة الطبل رغم توسلات هذا كي لا يُبعَدَ عنه طبله.

في اليوم التالي، تمكن دروري من الفرار من مركز شرطة المدينة دون أن يتمكن من اصطحاب طبله.

بعد عدة أسابيع، عاد مومبيسّون إلى منزله من رحلة إلى لندن ليجد بيته في حالة هرجٍ ومرج. بقي صاحياً لثلاثة ليالٍ حتى منتصفها، لا يجد سبيلاً إلى النوم بسبب الضجيج والدوي المتواصل. أما في وقت مخاض السيدة مومبيسّون، فاختفت الضوضاء نهائياً لمدّة ثلاثة أسابيع كدليل قدمه الشبح على حسن نواياه.

وبعد ولادة ابن القاضي الأصغر، تركزت الأصوات الصاخبة قرب سرير المولود كما كان السرير يرتفع مراراً في سماء الغرفة. من بين الأصوات هذه، قدر القاضي على تمييز دوي طبلٍ خصوصاً في أوقات الصلوات اليومية.

بين يومٍ وآخر، كانت الأحوال تسوء في منزل آل مومبيسون. فالأضواء تضاء دون علمهم، والأبواب تنفتح وتنغلق على هواها، والأناجيل تحترق في مكتبة القاضي. القسّ غلانفيل المهتم حضر إلى بيت مومبيسون للتحقيق، وسمع الصخب المحيط بأسّرة الأولاد. عندما قرر المغادرة، وجد حصانه مرعوباً يتصبب عرقاً. في اليوم التالي، مات الحصان في اسطبله.

في العام١٦٦٣، أوقف وليم دروري في غلوسيستر لسرقته خنزيراً. في قسم الشرطة، التقى رجلاً من ويلتشاير فسأله عما يحدث في مدينته، وبالتحديد عن التطبيل في منزل القاضي، وأسرّ إليه: «لقد صببت عليه لعناتي ولن أرتدّ عنه حتى تكتفي نفسي من معاقبته على أخذه الطبل مني».

بناءً على هذا الاعتراف، حوكم درووري بتهمة السحر والشعوذة وطرد من المدينة. وما إن تم التنفيذ، توقفت الأصوات الصاخبة في منزل مومبيسون. لم تمرّ سنةٌ حتى عاد الطبال متسللاً إلى إنكلترا، فعاد الصخب إلى سابق عهده، لكنه لم يُطِل إزعاجه، بل خفّ واختفى تدريجياً.

في ذلك الزمان، لم يكن الناس على يقين من أمر السحر، فقد كانت نية القس غلانفيل إثبات أن السحر ليس تطيّراً بل هو قوة خفية حقيقية. لكنه لم يصل إلى غايته المنشودة لأن «الموجة السحرية» انتهت عام ١٦٦٤ بموت مؤسّسها الشرير ماثيو هوبكينز الذي كان مسؤولاً عن مقتل وشنق أكثر من مئة شخص.

ما هو الشبح الصاخب

قد يكون غلانفيل على شيء من الصواب. فمفتش آخر هو غي ليون بلايفير قضى سنوات طويلة في البرازيل زادت من ميوله إلى البحث الروحاني. ما إن سمع عن شبحٍ صاخب يسكن أحد بيوت سان باولو حتى عرض مساعدة أصحاب البيت الذي اجتاحه الضجيج والنيران وتبلّلت فيه أغطية الأسرّة بالماء. فأخذ يفتش خلف الشبح في البيت حتى اقتنع باشتراك بعض السحر في هذه المسألة، إذ وقع على صورةٍ لفتاةٍ تزوجت ابن صاحب البيت خيطت بالخيطان كي يتمحور عمل الشبح حولها.

قامت الرابطة البرازيلية للأبحاث العقلية باستئجار فريق من الوسطاء لطرد الشبح من البيت، فاختفى هذا لفترةٍ ثم عاد، ما اضطر الرابطة نفسها إلى الاستعانة بأخصائي أو من يطلقون عليه إسم «طبيب السحرة». مارس هذا الطبيب الساحر طقوساً غريبة أدت أخيراً إلى فرار الشبح الضاج نهائياً. ما أثار دهشة بلايفير هو

قبول البرازيليين، بمن فيهم المثقفون منهم، بمبدأ الطبيب الساحر طارد الأرواح الضاجة، لكنه عاد وقبل الفكرة واقتنع بصحتها.

فالسحر إذاً ليس تخريفاً أو تطيراً، بل هو مستندٌ إلى الإيمان بالأرواح. ما يصدم الجميع هو فكرة قيام الأرواح بتلبية رغبة ما في نفس أحدهم فتسرع إلى البيت المقصود فتروع أهله وتقلبه رأساً على عقب. ويظهر ويليم درووري في قضية الشبح الطبال مكيناً من هذه الصنعة إذ، بحسب إعترافه، استطاع إنهاك القاضي مومبيسون وعائلته لسنوات.

هل كان درووري «وسيطاً روحياً؟» هل اعتقد أن قواه مركزة في الطبل فطالب ملحاً باستعادته؟ أياً كانت الحقيقة، يبقى مومبيسون الخاسر الأكبر إذ اتهم بتلفيق الرواية بكاملها، دافعاً ثمن ذلك من اسمه ومن سيرته.

يفخر مطعم Toby Jug في قرية هاورث في يوركشاير بظهور شبح الشاعرة والروائية المشهورة، ابنة القرية، إيميلي برونتي. وبحسب إفادة صاحب المطعم كيث أكرويد، يظهر هذا الشبح في يوم ١٩ كانون الأول/ ديسمبر من كل عام، هو ذكرى وفاتها. وقد وصف أكرويد لأحد مراسلي الصحف أول مرة رأى فيها الشبح عام ١٩٦٦. «رأست ذلك الوجه مبتسماً أول الأمر، ثم مشت في الغرفة إلى حيث كان السلم ثم ارتقته إلى غرفة النوم». كانت صغيرة ترتدي تنورة قاسية القماش، وتحمل سلة مصنوعة من الأماليد المجدولة.

إن شبح هذه الكاتبة المشهورة ثمين نافع للمطعم، لكن نوى أكرويد أن يطرده من مطعمه إذ أراد بيع المكان، ووجودالشبح سيمنع ذلك. وافق أحد مساعدي الخوري على إجراء الطقوس اللازمة لكن كاهن هاورث رفض قائلاً: إن ذلك غير ضروري. ربما كان يحذر من طرد الأشباح علنياً.

شبح حارة كوك

في تشرين الثاني عام ١٧٥٩، سألت السيدة فاني لاينز، الساكنة في منزل كاتب كنيسة سميثفيلد، السيد ريتشارد بارسون، ابنه صاحب الدار اليزابيت (١٠ أعوام) أن تبيت معها في الغرفة لوجود زوجها رجل الأعمال خارج المدينة. مضت الليالي الأولى طبيعية، ثم عجزت السيدة والطفلة عن النوم بسبب أصوات الطرقات والصرير في الجدران. لم يكن لدى ريتشارد بارسون أي فكرةٍ حول الأشباح الضاجة، فأخبر فاني أن الضوضاء عائدة ربما إلى وجود إسكافي في الغرفة المجاورة لغرفتها. وبعد شهور قليلة، أصيبت فاني بمرض الجدري وكانت في شهر حملها السادس، فخاف عليها زوجها فنقلها إلى مسكنٍ آخر، لكنها أسلمت الروح في الثاني من شباط عام ١٧٦٠.

رغم ذلك، استمرت الأصوات الغريبة تضجّ الحصول في دارة ريتشارد بارسون، لتنتشر رواية البيت المسكون بالأشباح في كل أنحاء المنطقة.

قبل أن تموت إليزابيت، كانت الأصوات تلحق بها أينما ذهبت، حتى كانت إذا سمعت الصخب يبتدىء، أصابها الارتجاف والاهتزاز، ما ولّد عندها التشنجات العصبية.

إزاء هذا الوضع طلب بارسون مساعدة أسقف المدينة، فلبى هذا النداء واستطاع التحدث مع الروح بالطريقة الشائعة: ضربةٌ واحدةٌ للإيجاب وضربتان للسلب، فتوصل إلى معرفة قصة الشبح الحزينة.

كانت تلك روح فاني لاينز العائدة من الموت لتتهم زوجها ويليم كنت بقتلها عن طريق سم الأرسنيك الأحمر دسّه في كوب

البيرة. سرّ بارسون لهذا الأخبار خصوصاً لأنه يحضر إجراءات دعوى قضائية لطرد ويليم كنت المستأجر عنده، وذلك بعد أن علم أنه لم يتزوج أبداً من فاني لاينز، بل كان زوجاً لأختها الكبرى إليزابيت.

ما إن سمع بارسون هذا الأمر حتى بدأ يتذكر أن الأصوات بدأت قبل وفاة فاني، وأن أحد الجيران أخبره برؤيته شبحاً بثوبٍ أبيض قرب المنزل في إحدى ليالي شهر كانون الأول من عام ١٧٥٩. بالإضافة إلى الكره الذي يكنّه لويليم كنت، قرر بارسون أن مسبب الضجيج كان شبح اليزابيت، الزوجة الأولى لكنت، التي عادت هي أيضاً لتتهمه بقتلها.

علم ويليم كنت بالأمر، وزار المنزل برفقة الأسقف جون مور وسمع بأذنه الحوار الذي دار بين الشبح والأسقف: هل أنت روح زوجة ويليم كنت ـ ضربة واحدة ـ هل هو من قتلك ـ ضربة واحدة ـ هل اشترك أحدٌ غيره ـ ضربتان. عندئذٍ، بدأ صراخ كنت نافياً الأمر، متهماً الشبح بالكذب.

ذاع صيت شبح حارة كوك في كل لندن، حتى كان شهر شباط، إذ دعا بارسون ابنته اليزابيت ـ التي تتركز حولها الأصوات الصاخبة ـ إلى مقرّ الأسقف ألدريش في كليركيتويل لفحصها. لكن الشبح لم يظهر أبداً أثناء التحقيق وفي جلسات البحث، فرفع التقرير إلى الأسقف مؤكداً أن الأمر كذبٌ وتخريفٌ.

انتقلت اليزابيت إلى بيت أحد أصدقاء أبيها وكان صانعاً للأمشاط، لكن هذا طلب من بارسون الرحيل وابنته لأنه لم يذق طعم النوم لثلاث ليالٍ بسبب الصخب الذي ملأ البيت.

قرر ويليم كنت إظهار براءته أمام المحاكم وعن طريق القوانين، فكان أن قذف الكرة إلى ملعب بارسون ابنته كي يقيما الدليل على

أنه قتل زوجته وأختها. علمت اليزابيت بارسون أن أباها سيدخل السجن إن لم يظهر الشبح لها تلك الليلة، فخبأت لوحاً خشبياً في سريرها وطرقت عليه ليلاً، لكن إحدى الخادمات كشفت الأمر، ما أدى إلى سجن بارسون وزوجته لإتهامه بمحاولة قتل ويليم كنت عن طريق إظهاره قاتلاً امرأتين.

بقيت قصة شبح حارة كوك مثالاً للخداع لأكثر من قرنين من الزمن، لكن بقاءها كذلك أمر مستغرب. فلا شيء يدعو إلى القول إن شبح حارة كوك لم يكن من الأشباح الضاجّة كما المئآت غيره الذين سجّلهم التاريخ. لكن معالجة هذه الرواية الآن تبدو شبه مستحيلة لفقدان معلومات لازمة ومهمة لذلك، مثل التساؤل لأي نوع من الفتيات انتمت اليزابيت بارسون، وهل كانت قد وصلت سن البلوغ مبكراً في العاشرة من عمرها؟! كل ذلك اختفى بمرور الزمن.

الأمر الوحيد المؤكد أن الشبح لم يكن روح اليزابيت كنت أو روح أختها فاني لاينز، وهذا ما يؤكد أيضاً وأيضاً أن الجامع المشترك لكل الأرواح الضاجّة هو الكذب.

عرّافة بريفورست

قرابة عام ١٨٠٠م، انقلبت أوروبا إلى الرومنسيّة، فأمسى الكل يبغي قراءة أخبار وقصص الأشباح والقصور المسكونة ومصاصي الدماء. لهذا السبب، أصبح كتاب الطبيب الألماني جوستينوس كيرنر «عرّافة بريڤورست» الأكثر طلباً ومبيعاً في العام ١٨٢٨.

عام ١٨٢٦، طُلِبَ هذا الطبيب للكشف على مريضةٍ مسكونةٍ بالأشباح اسمها فريدريكا هوفّا كانت في ذروة معاناتها إثر إصابتها بمرض حوّلها إلى هيكلٍ عظمي متحرك.

بدا أن زواج المرأة من أحد أقربائها كان سبب حالتها المحزنة. فمنذ طفولتها كانت تغرق في نشوات طويلةٍ تتخللها رؤى مستقبلية تصحّ جميعها، كما كانت تحادث الأشباح والأرواح وكأنها جالسةٌ في حضرتها. ما إن تزوجت حتى غرقت في كآبة تحولت بعد ولادة طفلها الأول إلى نوبات من الهستيريا، تتخللها أحاديث مع الأموات.

شكك كيرنر أول الأمر برؤاها وبأحاديثها مع الأرواح ناسباً هذه العوارض إلى الهستيريا. لكن ذلك لم يمنعه من دراسة حالتها بالتفصيل وادعت أنها تقرأ من بطنها واستلقت على ظهرها مغمضة العينين معصوبتهما بمنديل أسود وقرأت صفحةً من كتابٍ لديه وضعه على سرّتها مفتوحاً. كما استطاعت رسم دوائر كاملةٍ يعجز عنها الإنسان دون استخدام البيكار. إلى كل ذلك، روت كيف تترك روحها جسمها وترفرف فوقه.

أثناء تجربة التنويم المغناطيسي، استجابت فريدريكا بسهولة ودخلت نشوةً روحية دون أي صعوبة. برغم كل ذلك، بقي كيرنر مشككاً في أمرها، لكن إحدى التجارب التي مرّا فيها حولته إلى مصدقٍ لها ومؤمنٍ بقواها الروحية غير الطبيعية. ففي مساء أحد الأيام، أعلنت فريدريكا أن روح أحد الأشخاص تلاحقها، فوصفته وصفاً دقيقاً أدى بالطبيب إلى تذكره. كان رجلاً توفي منذ سنوات قليلة. بحسب فريدريكا كان هذا يعاني شعوراً بالذنب إذ تورط في عملٍ شنيعٍ، وبعد موته، اتهم آخر بالتسبب بالأضرار، والآن يريد تبييض صفحة ذلك الرجل من أجل أرملته. أما عن كيفية تبرئة ساحة ذلك الميت، قالت فريدريكا أن الأمر يتم بواسطة مستندٍ موجودٍ في خزانةٍ صغيرةٍ موضوعة على طاولةٍ في غرفة كذا وصفُها، يجلس في أحد أركانها رجلٌ كذا وصفه الدقيق. كان

كلامها بغاية الدقة فعرف كيرنر الرجل. إنه القاضي هايد.

لم يكن المستند في خزنة القاضي الرئيسية، ولهذا لم يجده كيرنر عندما بحث عنه. ولما يئس، أخبر القاضي بأمر مريضته ورؤياها، فدهش هذا إذ كان يومها (ليلة الميلاد) جالساً في ذلك الركن طلباً للنور الكثيف، وكانت حينذاك الخزانة الصغيرة موضوعة على الطاولة على غير عادتها. ولما بحثا فيها، وجدا المستند الذي برّأ الرجل الميت ورفع رأس أرملته من جديد.

بعد هذه المسألة، كَفَّ كيرنر عن التشكيك بقوة فريدريك فوق الطبيعية وصدقها في كل ما تقول.

إضافة إلى كل ما سبق، أظهرت فريدريكا مهارةً لا توصف في التعليم الروحي من خلال تعاليمها الفلسفية التي كانت تمليها لكيرنر في أوان نشوتها، فكانت تتحدث عن دورات الوجود الإنساني كدورة الحياة ودورة الشمس الملتزمة خطوط الحالات الروحانية المختلفة.

هذا النشاط الروحاني زاد فريدريكا إنهاكاً وماتت عام ١٨٢٩ عن ثمانية وعشرين عاماً.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأت ردة الفعل العلمية تتضارب والروحانيات، ما أدى إلى توقف انتشار «عرّافة بريڤورست»، وبحلول القرن العشرين، تناسى الناس الأمر برمّته. ويقول أحد الباحثين في القرن العشرين، إن كيرنر غبي إذ صدق ما قالته المرأة، ولو كان بقي مشككاً في أقوالها وراداً أفعالها إلى التصرف الهستيري، لكانت فريدريكا عاشت أطول.

يمكن إعتبار قضية عرّافة بريڤورست نموذجاً لظاهرة الشبح الضاجّ وعلاقته بالوسيط الروحاني. إن الأرواح قاتلة فريدريكا، إذ

استعملت هذه الأرواح حيويتها ونشاطها الإنساني لتعلن عن وجودها غير المرئي.

في كتاب آخر من مؤلفاته، يفصّل الطبيب كيرنر حالةً أخرى من حالات الأشباح الضاجة. فقد طُلِبَ مرّة لعلاج فتاةٍ فلاحةٍ مسكونةٍ بالأرواح منذ بلغت سنتها العشرين، يتتبعها الضوضاء والصخب، وتتحرك بجانبها قطع الأثاث. وبعد خمسة أشهر من ابتداء هذا الأمر، ظهر عليها شبحان: أولهما شبح راهبة بثوبٍ أبيض، وثانيهما شبح راهب بثوب أسود. ابتدأت الراهبة بالكلام فروت أنها دخلت الدير كطاهية فيه، وأن ذاك الراهب الأسود استولدها ولدين قتلهما ساعة ولادتهما، كما قام بقتل ثلاثة رهبان كانوا معه في الدير. وأنه قتلها حين علم نيتها إبلاغ السلطات الدينية عن أفعاله. وبعدها، تكلم الراهب الأسود قائلاً إنه سليل عائلة نبيلة أدار الدير وسخّر سلطته لإغواء عدد كبير من الراهبات وقتل ثمار الخطيئة التي اشتركن معه فيها. واعترف كذلك بقتل الرهبان الثلاثة. أما جثث القتلى فأشار إلى أنه رماها في حفرة في أحد الجدارن.

بعد ذلك، أسرّت الراهبة البيضاء للفتاة المسكونة أن محنتها مستمرة ما دام بيت أهلها ـ أهل المسكونة ـ واقفاً. فإن تهدّم، ارتاحت وأراحتها من معاناتها. وافق أهلها فوراً لفرط يأسهم وخوفهم على ابنتهم. وفي الخامس من آذار عام ١٨٣٣، دمّر المنزل بتكبير جدرانه المبنية بالوحل. وعندما وصلوا إلى زاوية البيت المعمّرة بالحجارة، وجدوا تحته صندوقاً بداخله عظام آدميين وجماجم أطفال. عندئذٍ، ارتاحت الفتاة وطاب عيشها.

تبدو هذه الرواية وكأنها من نسج خيال قاصّ رومنسي ألماني، لكن كيرنر أفرد لها كتاباً بكامله مدوناً فيه التفاصيل بدقة متناهية.

برغم ميل الباحثين الجدد إلى التشكيك بصحة هذه الحالة، تبقى الدليل الأوضح على تعلق الأشباح الضاجّة بأرواح الأموات.

كتب الدكتور في الفلسفة هنريش ويرنير كتاباً عام ١٨٣٩ بعنوان «الملاك الحارس» يتكلم فيه عن مشاهداته ومرضاه الروحيين. إحداهم ـ فتاة في الثامنة عشرة من عمرها ـ أشار إليها بحرفي «ر.و». عانت ر.و من الأزمات الصحية حتى وجدت نفسها يوماً هدفاً للأرواح. كان لديها ملاك حارسٌ اسمه «ألبيرت» يحميها من روحٍ خبيثةٍ هي روح كاهنٍ أيضاً.

ذات يومٍ، أعلنت ر.و أن الكاهن الخبيث موجودٌ في الغرفة حيث ترقد وإلى جانبها ويرنير، فبدأ هذا الأخير يسمع أصواتاً وحشرجاتٍ غريبةً (كما في كل حالات الشبح الضاجّ)، وتقول إن الكاهن ذاك بدا فرحاً للدهشة التي إعترَت ويرنر (وهذه أيضاً من صفات الشبح الضاج).

وفي اليوم الثاني، سمع ويرنر دوياً في إحدى الغرف المجاورة، فوجد أن زهريتين وقعتا عن الرف برغم الشباك المقفل. وما إن عاد إلى ر.و، كانت هذه في غشيةٍ وتحدّثت عن الراهب الخبيث الذي رمى بالزهريتين أرضاً، وقالت إن ملاكها الحارث «البيرت» رمى به خارج المنزل.

أما أكثر القصص غرابةً، فهي القصة التي تناولت أخت ر.و. الأصغر. ففي إحدى المرات حين كانت ر.و. منتشية غائبة عن هذه الدنيا، أخذت تصرخ عالياً منادية أباها لنجدتها، فأختها ستقع من النافذة. ثم أردفت بهدوء: الحمد لله... أتت النجدة». وعندما سألها ويرنر عمّا رأت، روت له كيف كانت أختها الصغيرة، إميلي تمد جسدها من النافذة بغية التقاط حبلٍ متدلٍ، حتى وصلت حد السقوط، لكن أباها أنقذها في آخر لحظة إذ شدها إلى الداخل.

للتأكد من هذه الرواية، اتصل ويرنر بالأب سائلاً عن حصول أي حادثةٍ فروى له الرواية نفسها مضيفاً أنه أتى البيت لشعورٍ بالضيق أتاه في عمله. ولولا ذلك لماتت إميلي. تؤكد ر.و. أن ألبيرت هو من ولّد الضيق في صدر والدها منقذاً بذلك أختها الصغيرة.

قصة ويلينغتون ميل

ذاع صيت كتب جوستينوس كيرنر وهينريتش ويرنر في أوروبا. فقامت إحدى الروائيات ـ اسمها كاثرين كروو ـ بنقل رواية «عرافة بريڤورست» إلى اللغة الإنكليزية. وبعد أن انتهت عام ١٨٤٥، قررت كتابة روايةٍ بنفسها عنونتها «الجانب الليلي من الحياة» (The Nightside Of Natue) أصابت نجاحاً باهراً حتى استلزم إصدارها في طبعات عديدة. تتألف هذه الرواية من قصص الأشباح والأرواح الضاجة وقراءة الغيب والبيوت المسكونة جمعتهاكاثرين لتكون مادة روايتها الدسمة.

المقاطع التي سنوردها هنا بعد اقتطاعها من الكتاب ستكون حواراً قاطعاً لمَ بقيت هذه الرواية الأكثر مبيعاً طوال نصف قرن.

ربما كانت قصّة أشباح ويلينغتون، قرب نيو كاسل، أفضل القصص التي تناولت هذا الموضوع، لكني أجد السيد هويت قد سبقني إلى استكشاف المكان ـ ولم أفعل أنا ـ لهذا بنيتي استعارة وصفه مبتدئةً بالرسالة التي نصها السيد بروكتر، مالك البيت، وفيها يشهد بالنبل للراوي. والرسالة هذه جوابٌ لكتابٍ مني أطلب فيه بعض التفاصيل أدق ممّا تسنّى لي الوصول إليه.

يتمنى جوش بروكتر أن تعذره السيدة كروو لتأخره عن الإجابة على رسالتها لانشغاله بأمور منزله. ولأنه يكره أن يزيد من الإعلان

عن الحوادث الجارية في دارته في ويلينغتون، يفضل بروكتر الاكتفاء بما شاع. لكن إن أرادت ك.ك. الحصول على إصدارٍ من مجلّة هويت المثبتة فيها تفاصيل مختلفة عن الموضوع، فيسّره أن يرسلها إليها.

يجد جوش بروكتر نفسه حراً في إدانة رفض الطبقات المتعلمة تصديق عودة الأموات والظواهر الخارقة، إذ لا يرتكز هذا الرفض على معاينات فلسفية عادلة للحقائق التي أذكت الإيمان الشعبي في كل العصور وفي كل مكان. وسيظهر هذا الرفض بعد مرور الزمن مرادفاً لغياب المنطق وللحكم غير المبرر.

زيارات الى أماكن رائعة

بقلم ويليم هويت

البيت المسكون في ويلينغتون قرب نيوكاسل

«في السنوات الأخيرة، عقدنا العزم على اعتبار قصص الأشباح والبيوت المسكونة من تخاريف عصور الجهل، وأقنعنا أنفسنا أن هذه الروايات حصلت فقط في مخيلات المتطيرين المؤمنين بالخرافات، وأن هذه الأيام التي اكتست بكساء التنوير ترفضها بشدة، وتدفعها نحو الاختفاء. ماذا يمكننا إذاً أن نقول عن الحقائق التالية؟ هنا، الأشباح موجودة، والبيت المسكون قائمٌ فعلاً. الأشباح موجودة في وضح النهار، وفي وسط حيّ مأهول بالسكان، وفي بيئة حبلى بالمتعلمين والمثقفين، وفي عائلة لا يمكن اتهامها أبداً بالجهل أو بالتطيّر. غزت الأشباح هذا البيت منذ سنوات لتقلقه وتقلق الحيّ كلّه، وتستمر في أفعالها برغم حذاقة الحكماء، وبرغم أبحاث العضنومي، وبرغم قلق العائلة التي تعاني الأمرين.

«بين سكة الحديد الممتدة من نيوكاسل ونورث شيلدز وبحيرة تاين، سهل فيه بعض البيوت الواسعة وبيت الكاهن الطاحونة وبيت الطحان. إنها قرية ويلنغتون.



مواهب يصعب تفسيرها لدى ستانيسلاق تومزيك

«والطاحونة هذه من أملاك السادة أنثانك وبروكتر. ويعيش السيد جوزيف بروكتر في البيت اللاطيء بفيء الطاحونة. هو سيد نبيلٌ متزوجٌ من سيدةٍ مجتمع فاضلةٍ مشهورةٍ بذكائها الوقاد، وله منها أولادٌ ما زالوا صغاراً. هذه العائلة المحترمة والمنتمية إلى مذهبٍ هو الأكثر قدرة على السيطرة والفهم. كانت آخر عائلةٍ يمكن أن تتأثر بأي رعب موهوم، لكنها كانت ولا تزال ـ على مدار سنوات ـ عرضةً للضيق الشديد بسبب الصخب الذي اجتاح بيتهم والأشباح التي أدت بصبرهم إلى النفاد.

«ليس البيت قديماً، بل بني عام ١٨٠٠، لكنه لا يتميز بميزةٍ خاصة في بنائه، من يراه من بعيد، لا يفكر أبداً بأن يكون سكناً للأرواح الهائمة. أما لرائيه من قريب، فيبدو منزلاً للضجيج من صوب البحيرة وللرياح من حدب السهل لحصوله في ما يشبه الحفرة الكبيرة في أسفل التلّ. لا سرداب تحت البيت ليكون مصدراً للصخب، كما أن الصخب هذا ليس كل ما في الأمر، بل أعلن عن كثير من الأشباح لوحظ وجودها أثناء حدوث الضجيج.

«برغم رغبة السيد بروكتر كتمان أمر هذه الأحداث الغريبة الجارية في منزله شاعت الأخبار وانتشرت لتصل كل بيتٍ في الجوار. فهبّ الناس إلى دار بروكتر لاستكشاف الحقيقة، فوجدوا الاشاعة خبراً صحيحاً.

هنا أنقل، ورد في كرّاسٍ بعنوان «مرشد المؤرخ المحلّي»، نصّه السيد م. ريتشارد سون، من نيوكاسل، وفيه إثبات الكاتب الحادثة وإيمانه بها كما العديد من أهل الجوار المتنورين.

«رواية موثوقة لزيارة إلى البيت المسكون في ويلينغتون».

«إن ازدياد التقارير حول ظهور أشباح الموتى في أماكن عديدة

وفي أزمنة مختلفة ينذر بعودة أيام الظواهر الغرائبية وأوقات الهلع الإنساني. يرافق ذلك تصاعد لهجة الأدب والفلسفة هذه الأيام ضدّ هذه الظواهر، لتصبح بقسوة كلام الملحد أو تشبيهات المادي.

«زرنا المنزل المقصود الواقع قرب طاحونة الذرة دون أن يتّصل بها. يتمنّع مالك البيت عن إفشاء تفاصيل الاضطراب الذي يتعرّض له، لذا نلفت نظر القارىء أن المادّة التي بين أيديكم مستقاة من حديث أحد الأصدقاء أجاز لنا النقل عن لسانه. علمنا أن إحدى غرف البيت على الأقل كانت مسكونة قبل أربعين عاماً - كما يتناقل الحيّ من المسنين - لكن أي اضطراب أو اقلاق لم يحصل منذ سنوات طويلة، بينها بعض السنوات التي مرّت على آل بروكتر بهدوء. ويُروى أنه خلال بناء المنزل، أي عام ١٨٠٠، قام أحد العمال بارتكاب فعلةٍ شنيعة. يجب أن نعطي هذه المسألة من التفكير المليّ أكثر مما نعتقد، وذلك لهول ما روى جيران ذلك البيت مما رأوا وسمعوا وأحسّوا، ولكثرة الخادمات اللواتي كن يتغيّرن كل أسبوع. بناء عليه، أقدم هذه الرسائل التي تبادلها أناسٌ فوق مستوى الشكوك، تاركين القارىء ليستخلص الخاتمة التي يعتقدها مناسبة

«النسخة الأولى:

١٧ حزيران ١٨٤٠

«إلى السيد بروكتر

«سيدي - بعد أن وصلني من مصادر موثوق بها أنك وعائلتك تعانون جراء أصوات صاخبة ليلاً، أقول لك إني قرأت مداخلة ويسلي حول تلك الأمور الغريبة، وأعترف، برغم ذلك، أني ما أزال بعيداً من تصديق حصولها؛ لكن أن يصل تقرير يؤكدها من جانبك، أنت ابن مذهبٍ أحترمه كثيراً، حمّس فضولي وأثار طموحي، لذلك أطلب منحي فرصة البقاء وحيداً في البيت لليلة واحدة يرافقني فقط كلبي الشجاع. وأطمح أن أصل إلى حل هذه المسألة إن نجحت تجربتي.

بكل احترام

إدوار دروري

«النسخة الثانية:

«احترامات جوزف بروكتر إلى السيد ادوار دروري الذي وصل كتابه منذ أيامٍ وفي طيّاته طلب أن يُمضي ليلةً في بيت بروكتر. العائلة ستترك المنزل في الثالث والعشرين من هذا الشهر، فيمكنه الحضور في الرابع والعشرين أو بعده ويتصرف بما يشاء، وحيداً أو يرافقه كلبه الأمين. في الوقت نفسه، يهمّ ج.ب. أن يعلمه أن الاضطرابات والضجيج أصبحت أقل مما كان في الماضي، فعسى أن يوفق في تجربته.

«ج.ب. ولينغتون ٢١ حزيران ١٨٤٠ أخبر أحد مساعديه. السيد ماون ليلتقي السيد دروري ويستقبله.

«غادر السيد بروكتر وعائلته منزلهم في ٢٣ حزيران طالباً من

أحد الخدم المسنين الاعتناء بالبيت خلال غيابهم. وفي الثالث من تموز، عاد السيد بروكتر وحيداً لإنهاء بعض الأعمال، ففوجىء أيضاً بوصول السيد دروري مصطحباً صديقاً له. فأقفلوا البيت جيداً بعد أن استكشفوا كل زواياه، جلس دروري وصديقه وحيدين قرب الغرفة التي شهدت ظهور الأرواح، وكان سعيداً لخلو المنزل إلا من السيد ب. والخادم.

«النسخة الثالثة»

«صباح الاثنين ٦ تموز ١٨٤٠»

«إلى السيد بروكتر.

«لم أكن في منزلي البارحة لألقاك حين زرتني. أُسَرُّ إذ أقول لك إني فوجئت أن ماحدث من أمرٍ رهيبٍ لم يترك فيّ تأثيراً قوياً إلا بعض الطنين في أذني اليمنى، ما زال يرافقني حتى اليوم ويمنعني من السمع الصحيح. هذا ما لم يصبني من قبل أبداً لكنه سيذهب عني لا بدّ. إني على قناعة تامة أن أحداً لا يؤمن بالغرائب أكثر مني قد زار بيتك. سوف أرسل إليك، خلال أيام قليلة، تفصيلاً كاملاً عما رأيت وعما سمعتُ. زارني السيد سبنس وسيدان آخران في بيتي بعد الظهر للاستماع إلى هذه التفاصيل؛ لكنني - يا سيدي - أردّ هذه الأصوات الصاخبة إلى أسباب طبيعية رغم اقتناعي بالظهور المرعب للأشباح، هذا الظهور الذي أجزم أنه كان عقاباً لي على لامبالاتي وعلى عدم إقتناعي. دعني أثقل عليك فأطلب أن ترسل إليّ عنوان السيدة أختك في كمبرلاند وعنوان أخيك، فأتصل بهما بحثاً عن بعض الاجابات، كما أرجوك رجاء حاراً ألا تعيد عائلتك إلى ذاك المكان المرعب ثانيةً.

«مع احترامي البالغ»

«ادوارد دروري»

«النسخة الرابعة»

«ويلينغتون، الشهر السابع، اليوم التاسع ١٨٤٠»

«صديقي المحترم، ادوارد درووري»

«كنت في سندرلاند فما وصلتني رسالتك الأخيرة إلا البارحة صباحاً. يسعدني أن أسمع أنك تتماثل إلى الشفاء بعد ما حصل في تلك الليلة. كلي احترام لرأيك الجديد القريب إلى الحقيقة يقف في وجه الجهل الذي يسمي هذا الحاصل بما فوق الطبيعة. «إني أنتظر بشوق التفاصيل التي ستكون الدليل القاطع على أنك لم تكن نائماً وأن الأمر لم يكن كابوساً أتاك فأخافك...

«وابقَ صديقك»

«جوش بروكتر.

«ملاحظة: عندي ثلاثون شاهداً على الأمور التي كانت تحدث في بيتي.

«النسخة الخامسة»

«ساندرلاند، ١٣ تموز، ١٨٤٠

«أفي بوعدي فأرسل إليك هذه العجالة حاملةً في طياتها تفصيل ما رأيت وما سمعت في بيتك عندما أمضيت «فيه ليلة الرابع من تموز مع صديقي ت. هدسون. هنا أعترف أني - لاعتقادي أنك خارج البيت - اصطحبت مسدسي في جيبي وقررت أن أرمي النار على أي كان يحاول التلاعب بي من خارج المنزل. ما إن رأيتك حتى علمتُ أن لا مجال لاستعمال السلاح فأبقيته فارغاً من الرصاص، وخصوصاً بعد أن سمحت لنا باستكشاف أرجاء البيت كلها. جلستُ مصغياً حتى ألتقط أخف ضجيج يحدث. كانت ثمة دقائق عشر تفصلنا عن منتصف الليل

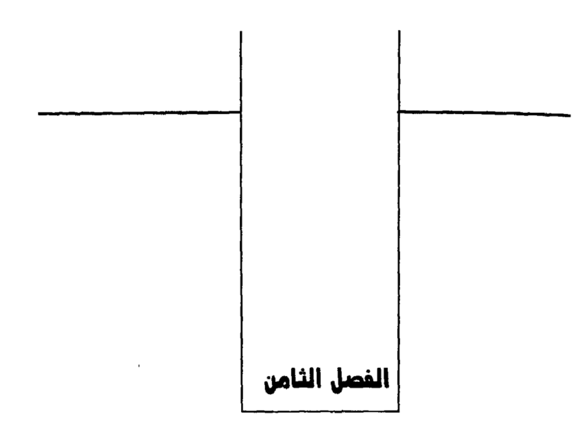
عندما سمعنا بعض الضوضاء يشبه دبيب النّاس بأقدام عارية على أرض البيت، لكنني ما استطعت التحقق من المصدر الفعلي لهذه الأصوات. بعد قليل، سمعنا أصواتاً أخرى شبيهةً بضرب كعوب الأحذية على الأرض الخشبية، تبعها سعال منبعث من الغرفة حيث شوهدت الأشباح. وقبل أن تدق الساعة الواحدة بربع الساعة، أخبرت صديقي أني أحسّ بالبرد، وأني سألجأ إلى سريري حيث يمكنني أيضاً سماع هذه الأصوات، لكنه أجابني أنه لن يدخل فراشه إلا فجراً، نظرت إلى ساعتي بعد أن نهضت ثم أدرت بوجهي صوب الباب فرأيتهم هناك بينهم امرأة استطعت تمييز وجهها تنظر أرضاً، يدها اليمنى على صدرها كأنها تتألم ويدها اليسرى موجهة إلى الأرض مشيرة إليها. تقدمت إلينا ووقفت بيننا، فلما اندفعت راغباً في معانقتها وقعت على صديقي مصدراً صوتاً قوياً جداً أفاق على دويه السيد بروكتر. بعد ذلك فقدت الاحساس نهائياً، وقيل لي إني فقدت الوعي ونقلوني مذعوراً.

«أنا أقرّ أنَّ المثبوت آنفاً هو الحاصل حقيقةً دون نقصان أو زيادة.

«نورث شيلدز

«ادوارد درووري»

في كتابها، أضافت السيدة كروو إلى هذه الرسائل الموثقة بعض الوصف الذي أفادها به أهل الجوار الذين شاهدوا الأشباح مؤكدين وجود أكثر من شبح. ويضيف المؤرخون المحلّيون أن السيد بروكتر اكتشف أخيراً كتاباً قديماً فيه وصف لأمور غريبة حصلت في بيت قديم كان قائماً في المكان نفسه قبل مئتي سنة. وتنهي السيدة كروو كتابها بقرار السيد بروكتر مغادرة المنزل وتحويله إلى مساكن صغيرة للعمال.



الفصل الثامن

حالات ما وراء الأطلسي

قضية فيلبس (Phelps)

عاش المحترم إلياكيم فيلبس (Eliakim Phelps) في ستراتفورد بكونكتيكوت، وتزوج من أرملة لها من زوجها الميت أربعة أطفال. كان كثير الاهتمام باستطلاع الغيب وحاول علاج الأمراض من طريق التنويم المغناطيسي. في شهر آذار عام ١٨٥٠، جلس فيلبس وأحد أصدقائه من نيويورك ونفذا جلسةً روحيةً للهواة لم تنجح أبداً رغم أنهم استطاعوا الحصول على بعض الأصوات.

بعد أيام قليلة، عادت العائلة من الكنيسة لتجد باب بيتهامفتوحاً والمكان مقلوباً رأساً على عقب. اعتقدوا أول الأمر أن وراء ذلك محاولة سرقة لكن شيئاً لم يكن مفقوداً أبداً. وفي فترة بعد الظهر، ذهبت العائلة ثانية إلى الكنيسة لكن فيلبس جلس في الصف الأخير قرب الباب ليراقب بيته، لم يرَ أحداً يقترب منه أبداً. وقفلت العائلة عائدة إلى بيتها لتجد فيه إشارات على دخول غريب كأن تكون قطع الأثاث مقلوبةً، وأن يكون رداء السيدة ممدَّداً على سريرها والكمّان متقاطعين فوق الصدر. وفي غرفة أخرى، تحولت الوسائد إلى دمى جالسة قرب الأخرى وأمامها أناجيل مفتوحة. بدا

لفيلبس أن الشبح الضاج الساكن في بيتهم يتمتع بروح دعابة نادمة.

وفي اليوم التالي، وضح الأمر واستقر الفكر على وجود شبح ضاج إذ بدأت الأشياء تطير في سماء الغرف، والشموع تضاء وتنطفىء على كيفها، إلى جانب ذلك، صخب يشبه محاولة أحدهم تدمير البيت بفأس.

استقى هذا الشبح قوته الاستثنائية من حقيقة وجود مركزين في البيت: هاري (١٢ عاماً) وأنّا (١٦ عاماً)، لكن ملاحقاته استمرت حول هاري الصغير. فعندما خرج في نزهة مع زوج أمه بالعربة، انهمرت الحجارة على العربة وكادت تقلبها. وفي مرّة أخرى، ارتفع في سماء الغرفة حتى كاد رأسه يرتطم بالسقف، ثم رُميَ في صهريج الماء، ثم ربط بالحبل ودُلّي من الشجرة.

بعد ذلك، أمسى الشبح ذاك يكسر الزجاج الموجود في المنزل. حاول فيلبس التواصل مع الشبح بواسطة الأصوات والطَّرَقات على الجدار، فنجح، ليكتشف وجود أكثر من شبح في المنزل، أحدهم رجل كنيسة فرنسي كان يُساعد السيدة فيلبس لكنّه خانها فأخذ يتعذّب في جهنم. وعندما سأل زوجته عن الأمر، علم أن في الأمر خداعاً وكذباً. ومرّة أخرى طلب منه الشبح أن يضع كفه تحت الطاولـــة. وما إن فعل حتى أحسّ بيدٍ تمسك بيده، يدٍ إنسانية دافئة.

أحد الوسطاء الروحيين المشهورين ـ أندرو جاكسون دايفيس ـ زار بيت فيلبس وأعلن عن نظريته شبيهة نظرية السيدة كرود، راداً الظاهرة إلى الكهرباء والمغناطيس: فالمغناطيسية تجذب الأشياء باتجاه الصبي والبنت والكهرباء تبعدها عنهما؛ لكنه لا ينفي وجود الأشباح، فقد رأى بأم عينه خمسة منهم.

تحولت الأشباح الضاجة في ذلك البيت إلى أشباح مدمّرة، تحرق الورق بالنار، تكسّر الأواني الزجاجية الغالية الثمن، تطارد الابنة الكبرى أنّا وتؤذيها.

يبدو أن مسؤولية ما حصل تقع على كاهل المحترم فيلبس الذي شد أنظار الأشباح إلى بيته. فاكتشفت هذه وجود وسيطين نشيطين في المنزل، وكانت النتيجة واحدة من حالات الأشباح الضاجة الأكثر مسرحية.

شبح عائلة داغ Daag

نادراً ما تتكلم الأشباح ولكن الشبح الذي سكن مزرعة آل داغ استثناء لكل القواعد. الخبر التالي مقتطع، من كتاب «أرواح وأشباح ضاجّة» كاتبه الكاهن الكاثوليكي الأب هربرت ثورستون.

في ١٥ أيلول عام ١٨٨٩، بدأت معاناة عائلة جورج داغ مع الصخب الذي حلّ في مزرعتهم وسبب لهم الاضطراب والهلع. كانت العائلة مكونة من جورج داغ ـ ٣٥ عاماً ـ وزوجته سوزان والأولاد ماري ـ ٤ سنوات ـ وجوني ـ سنتان ـ واليتمية التي تعيش في دارهم دينا ماكلاين وهي في الحادية عشرة من عمرها. قبل ابتداء الاضطرابات، كانت دينا هذه فتاة نضرة البشرة متوردة الخدين، إلا أنها تحولت، مع استمرار الصخب، إلى فتاة منهكة، حول عينيها خاتمان أسودان، وضعيفة القوة.

ساد الشك أن خلف الحوادث الحاصلة سحراً وشعوذة، وتوجهت أصابع الاتهام إلى سيدة اسمها والاس وإلى أولادها. ولاحظ بعض الجيران أن الأصوات هذه تخفت وتختفي عندما تكون دينا خارج المزرعة.

زار أحد الأشخاص، السيد وودكوك، المزرعة يوم الجمعة ١٥ تشرين الثاني وبقي فيها حتى مساء الأحد مغتنماً الفرصة ليدوّن كل الحوادث. روى له السيد داغ أنه قبل شهرين أعطى زوجته ورقتين من النقود من فئة ٥ دولارات ودولارين. فخبأتهما في درج المكتب. في اليوم الثاني، أتاه أحد الصبيان، اسمه دين، وكان يتيماً فاتخذه عاملاً، أتاه بورقة الدولارات الخمسة مدعياً أنه وجدها قرب باب الاسطبل. لكن ذلك لم يقنعه، فأرسل الصبي لقضاء حاجةٍ في السوق وقام بتفتيش فراش الصبي ليجد الورقة الثانية التي فقدها أيضاً. إذ ذاك، انهال على الصبي بالضرب متهماً إياه بالسرقة رغم إنكاره. وفي اليوم نفسه، وجدت السيدة داغ الأوساخ تغطي أرض المطبخ فاتهمت دين بالعمل الرديء، وذهب به داغ إلى المحكمة. أثناء غيابهما، امتلأ البيت بالأوساخ، فعرف الجميع أن دين بريء. استمرت المضايقات وزادت حتى وَصَلَت إلى رمي الحليب وسرقة الزبدة؛ وبعد ذلك، ابتدأ نوع جديد من مظاهر الاعتلان: بدأ الجميع يسمعون صوت الشبح.

خلال فترة إبراهام لنكولن الرئاسية، كانت موجة الروحانيات في أوج انتشارها بين الناس، حتى انجر الرئيس بنفسه إليها. يروي الكولونيل سيمون ف. كايز التقاءه بالرئيس خلال جلسة استحضار أرواح في منزل السيدة لوري وابنتها السيدة ميلر. ابتدأت السيدة ميلر تعزف على البيانو، فارتفع في الجو وأكمل العزف بالزمن نفسه. سأل كايز إن يستطيع الجلوس على البيانو ليؤكد للعالم أنه «تحرك وارتفع». أجابت الوسيطة أنه، وغيره أيضاً يستطيع ذلك. فتقدم أربعة رجال وجلسوا. استأنفت السيدة ميلر عزفها، وعاد البيانو إلى الارتفاع. يختم كايز: «كان البيانو مطية قاسية، ترجلنا عنه بينما استمر في العزف حتى انتهاء المعزوفة».

في صباح يوم السبت، حاول السيد وودكوك أن يجري حديثاً منفرداً مع دينا، فاصطحبها إلى الغرفة التي خلف المزرعة حيث قالت إنها رأت شيئاً. سألت دينا: «هل أنت هنا؟»، ففوجىء، وودكوك بصوت رجلٍ مسنٍّ متهدج يردّ رداً لا يسعنا إدراجه هنا. فقال الزائر: «من أنت؟» فأجابه: «أنا الشيطان بنفسه.. أخرج من هنا أو تدق عنقك».

من هذا النهار، بدأ حوار عائلة داغ والشبح الذي استوطن مزرعتهم. تحدّى وودكوك الشبح أن يكتب شيئاً تاركاً له الورق والقلم على الطاولة، ذهل الجميع عندما انتصب القلم وكتب سباباً وكلاماً نابياً.

في التقرير الذي قدمه الزائر عن الحوار بين الصوت ومسائليه، نجد حوارات كهذا المثبت أدناه:

السيد داغ: لمَ تضايقني وتقلق عائلتي؟

جواب: للمتعة.

السيد داغ: لم يكن ممتعاً أن تضرب ماري الصغيرة بالحجارة.

جواب: مسكينة ماري!! ما قصدتها بل قصدت دينا.. لكنني لم أؤذِها.

السيد داغ: لم حاولت إحراق البيت؟

جواب: لم أفعل. فالنار تأتي دائماً في وضح النهار حيث يمكنكم رؤيتها. آسف لما فعلت.

وفي نهاية الحوار، وعد الشبح أن يقول وداعاً ويختفي من حياة أهل المزرعة إلى الأبد ابتداءً من اليوم التالي، الأحد.

ما إن انتشر الخبر حتى تقاطر الجيران إلى مزرعة السيد داغ للتحاور مع الروح اللطيفة. أحد الزائرين أبرز سروره لتحسّن لهجة

الشبح وامتناعه من الكلام البذيء فأجابه أن مطلق السباب روح أخرى أتي هو ليبعدها عن هذا المكان. لكن السيد وودكوك قال إن الصوت نفسه لم يتغير في كل الحالات. واستمر الحوار وتشعب حتى بدأ الشبح يناقض كلامه وعاد إلى كلامٍ دون تناسق لا يتفق وأصول السماوية.

قبل أن تنتهي زيارة السيد وودكوك بانتهاء نهار الأحد، قام بتدوين التقرير التالي:

لمن يهمه الأمر: نحن الموقعين أدناه نعلن أننا هنا نفصل الحاصل في مزرعة جورج داغ في مقاطعة بونتياك في ريف الكيبيك.

أولاً: «اندلعت النار في المنزل في ستة مواضع مختلفة في الوقت نفسه، فاحترقت الستائر الخشبية. حصل هذا في وضح النهار، حين وجود العائلة والجيران في البيت.

كان الوقت مساءً في بيناريس الهندية. تحلّق العلماء الهنود واستاذ اللغة السنسكريتية الألماني حول السيدة الروسية بلافاتسكي، وبجانبهم تلميذها المخلص الكلولونيل أولكو ت. لما اعتقد الأستاذ الألماني أن الحكماء الهنود قادرون على الأفعال السحرية الغريبة كجعل السماء تمطر زهوراً، لكنهم أخبروه أن هذه المعجزات قد ولّت أيامها. حدّقت السيدة بلافاتسكي فيه وسألته: «لقد قالوا ذلك؟ أليس كذلك؟ حسناً، سأريهم، ويمكنك أن تقول لهم عن لساني لو كان الهندوس أقل تملقاً لساداتهم الغربيين، وأقل تعلقاً برذائلهم، يشابهون أسلافهم، لما اضطروا إلى هذا الاعتراف المذل».

زمّت شفتيها وطبعتهما على ساعدها الأمن، فانهمرت دزينة من الورود من السماء. ثم عادت السيدة بلافاتسكي إلى هدوئها السابق وأكملت الحديث.

ثانياً: كانت الحجارة ترمى بأيدٍ خفية عبر النوافذ، تقذف قوارير الماء بوجه السيد داغ وزوجته. إلى ذلك، في وجود الصغيرة دينا، كان ينطلق صوتٌ متهدجٌ عميقٌ وكأنه صوت رجلٍ مُسِنٌ في الغرفة أو في فناء المنزل يجيب على أسئلةٍ يُسألُها ليؤكد اطلاعه على كل ما يجري في بيت آل داغ وفي بيوت الجوار كلها. يدعي أنه مات قبل ٢٠ عاماً عن عمر وصل الثمانين. أسرّ باسمه إلى السيدين جورج وويلي داغ ومنعهما من إفشائه. لم يره أحدٌ إلا دينا والطفلين ماري وجوني، فرأوه مراراً، وفي أشكال مختلفة، مرّة طويلاً ضعيفاً ومرّة قصيراً سميناً ومرّة ثالثة برأس بقرة أو بجسد كلب أسود، وأخيراً كرجلٍ وسيم بشعرٍ طويلٍ، يلبس الأبيض وعلى رأسه تاجٌ مرصعٌ بالنُّجُوم.

وقع هذا التقرير سبعة عشر شاهداً إضافة إلى عائلة داغ، كلهم مسؤولون لا يتهربون من الشهادة بصحة ما كتب في هذا التقرير. غادر السيد وودكوك إلى منزله تاركاً آل داغ وضيوفهم يتحادثون والشبح الذي غيّر من صوته فأصبح ناعماً يشبه نغم الناي. وقد أكّد أنه خشن صوته خوف أن يتم اتهام دينا بإصداره. وغنى لهم ترانيم سعيدة، حتى كلما استأذن في الرحيل استبقوه. طالت السهرة وامتدت حتى الثالثة فجراً، فودعهم ووعد الأولاد أن يكشف لهم نفسه في صباح اليوم التالي.

في الصباح، عاد السيد وودكوك إلى منزل آل داغ ليرى السرور يغمر الأولاد الذين رفعهم الرجل الجميل بيده إلى صدره وغنى لهم، «وكان يرتدي لباساً أحمر لأنه ذاهب إلى الجنة» كما قالت دينا. أصرّ الأولاد على الرواية نفسها وقالوا إنه تمتم: «أن وودكوك لا يصدق أي ملاك لكنه سيبرهن أنه كذلك». أضافت دينا أنه صعد عامودياً إلى السماء واختفى.

المثير في قصة هذا الشبح الضاج اعتلانه أنه الشيطان أولاً، ثم ملاكٌ من الجنة. لم يكن ذا ولا ذاك.

قضية ايستير كوكس

كان دانيل تيد يعيش وزوجته في بيت من طابقين يشاركهما فيه ابناهما، وأختا الزوجة اللتان لم تتزوجا بعد، جاين وايستر كوكس، وأخو الزوجة ويليام وأخو الزوج جون.

في شهر آب وجد دانييل تيد أن أحداً قد حلب البقرة، فاتجهت أصابع الاتهام صوب ايستر لأنها تحب شرب الحليب كثيراً. وفي مساء اليوم التالي، ذهب بوب ماكنايل وإيستر كوكس في نزهة حاول خلالها بوب إغواء ايستير وإقناعها بالدخول إلى الغابة معه لكنها رفضت، فهددها بمسدسه لكن سيارة مسرعةً شارفت على دفعه من على العربة، فقاد العربة بسرعة جنونية، أعاد ايستير إلى بيتها وترك المدينة إلى الأبد، بكت ايستير كثيراً فبقيت عيناها حمراوين لأيام.

مساء الرابع من أيلول عام ١٨٧٨، سمعت جاين صوت أختها فهبت إليها لتجدها تصرخ قائلةً إن فأراً موجودٌ في فراشها. لكن جاين لم تجد شيئاً. ثم سمعا صوتاً منبعثاً من إحدى الحقائب، فلما قلبتها جاين مستعدة لترى فأراً، ارتفعت الحقيبة إلى السقف ووقعت على الأرض. حضر دانييل تيد إلى الغرفة بعد أن سمع الضوضاء المنبعث منها، فدفع بالحقيبة تحت السرير وطلب من الفتاتين العودة إلى النوم.

وفي الليلة التالية، ذهبت ايستر إلى الفراش باكراً. وبعد إطفاء الأنوار بقليل، صرخت: «جاين، إني أموت» هبّ الرجال إلى غرفة ايستر ليجدوها في حالةٍ مزرية إذ احمرّ وجهها وانتفخ جسمها

وتابعت الصراخ، ثم عادت إلى طبيعتها واستسلمت لنومٍ عميق.

تكرر الأمر في مساء الليلة التالية، إلا أن الأمر وصل إلى حد طيران أغطية السرير وانقذاف وسادةٍ في وجه دانييل تيد. جاين أغمي عليها وهرب جون تيد إلى غرفته.

حضر الطبيب في صباح اليوم التالي لرؤية ايستير المريضة، فسمع الصخب يملأ الغرفة، ورأى الوسادة التي تحت رأسها تنتفخ وتنقبض لتنتفخ ثانيةً. طارت أغطية السرير في وجه الطبيب. وفجأة لاحظ الجميع ظهور كتابة على الحائط: «ايستير.. سأقتلك». استمرت الظاهرة الغريبة لساعتين بينما بقيت ايستير مسمّرة في سريرها ومرعوبة.

لم تتوقف الحوادث عن الحصول لأسابيع ثلاثة أخرى، وفي ليلةٍ، تجمدت في سريرها وقصّت ما حدث لها وبوب ماكنيل. وعندما عادت إلى وعيها اعترفت أن ما قالت كان صحيحاً. وما إن اعتبرت جاين أن بوب مسؤولٌ عن متاعب ومشكلات ايستير، حتى بدأ الضجيج حامي الوطيس وكأن الشبح يوافقها الرأي.

حاول الطبيب التكلم مع هذا الشبح لكنه فشل في الوصول إلى هويته. تحولت ايستير إلى موضوع نقاش، فامتلأ البيت بالناس. وعندما طلب الخوري أن يراها، بدأت المياهُ الباردةُ في الابريق الموضوع على طاولة المطبخ بالغليان.

في كانون الأول، مرضت ايستير بالديفيتريا، فاختفى الصخب طوال فترة مرضها. فتركت البيت وأمضت فترة نقاهةٍ بعيداً لتعود تُواكبها الظواهر الغريبة، فسمعت فوراً صوتاً ينذرها أن النار ستندلع في بيتهم. وبينما كانت تخبر الآخرين، اشتعل عود ثقاب في سماء الغرفة وسقط على السرير ليلتقط الغطاء القطني الشرارة. فركضت

جاين وأطفأته. استمر سقوط عيدان الثقاب المشتعلة لكنها كانت سريعة الانطفاء.

بعد ثلاثة أيام، اندلعت النار في القبو حيث يحتفظ السيد تيد بالحطب للشتاء، لكن الرجال سيطروا على النيران بصعوبة بالغة.

دب الرعب في قلوب الساكنين في الجوار وطلبوا إبعاد إيستير عن القرية لما يمكن أن تسببه من أضرار كبيرة. فعرضَ أحدهم واسمه جون وايت أن تسكن في داره. مضت الأسابيع الأولى دونما اقلاق حتى كان يوماً طارت فيه الفرشاة من يد إيستير وانهالت على رأسها بالضرب العنيف.

توظفت إيستير في المطعم الذي يملكه وايت، فأبى باب الفرن أن يبقى موصداً بل كان ينفتح فجأةً، وبدأت الأواني المعدنية تطير في سماء الغرفة لتلتصق بها وكأنها مغنطيسٌ يجذبها إليه، حتى وصل الأمر إلى إصابتها بجروحٍ جرّاء انجذاب أحد السكاكين بقوة إلى ظهرها. دعمت هذه الظواهر مقولة أن إيستير «مكهربة» بطريقةٍ ما، فجربوا إقناعها أن تنتعل حذاءً خاصاً بأرضية زجاجية، لكن هذا الحذاء أصابها بالصداع وبالرعاف.

حين بدأت قطع أثاث المطعم تتحرّك في أرجائه، قرر وايت أنه حان وقت عودة إيستير إلى بيتها.

في حزيران عام ١٨٧٩، انتقل ساحرٌ استعراضيٌّ للعيش في منزل دانييل تيد بعد أن سمع أخبار الحوادث الحاصلة هناك، وقرر أن يكون ذلك موضوع كتابٍ يعدّه. ما إن وصل حتى أعلن للجميع أن في الأمر خدعةً وكذباً، وكان عقابه شديداً: طارت مظلّته في سماء الغرفة، وسقط سكين كبير قرب قدميه، ورُميت حقيبته على الأرض، وانقلب كرسيه فرماه قرب الباب. أخبرته إيستير أن الأرواح لا تحبّه أبداً.

في الأيام التالية، أكمل الشبح الضاجّ استعراضه، فأشعل في يومٍ واحدٍ خمسةً وأربعين حريقاً، وهزّ أركان البيت بالدوي المتواصل وأصوات البوق والطبل. قام ستة أشباح بزيارةِ إيستير وبقي كل واحد منهم قرابة النصف الساعة. وعندما ذهبت للصلاة، هاجمها شبح «بوب بنكل» وجرح رأسها ووجهها بشوكة مطبخ.

اعتقد الساحر أنه وجد طريقة لجمع المال فاستأجر مكاناً فسيحاً وأقنع إيستير بإقامة عرضٍ روحي، لكن الأشباح أبت الحضور وطالب الجميع باستعادة أموالهم.

تعب دانييل تيد من حاله هذه، فأرسل ايستير إلى مزرعةٍ يملكها أصدقاؤه آل دافيدسون. هناك، تركتها الأشباح قليلاً ثم تسببوا بسجنها بعد أن اتهمت بسرقة أموال فقدت من البيوت وجدت في بيت دافيدسون. بعد انقضاء مدة عقوبتها، توقفت كل الاضطرابات فجأة.

يحمّل الباحثون الكبت الجنسي مسؤولية حدوث هذه الاضطرابات، فلو كان بوب ماكنيل أكثر لباقة في إغواء إيستير لما حصل كل ما حصل، ولما واجهت العائلة كل هذا العذاب. فإيستير نموذجٌ حيٌّ للنفس المنفصمة: فجزءٌ منها أراد الخضوع لغواية بوب ماكنيل بينما رفض ذلك الجزء المرتبط بتربيتها وتقاليدها. وما إن امتنعت، حتى قامت عليها «الأنا» الجنسية وعاقبتها. كانت الأرض مصدر الطاقة، فلما انتعلت أحذية الزجاج توقف العذاب، لكن الصداع والرعاف بقيا إذ هما نتاج مرور التيار الكهربائي في جسمها.

لكن كيف استطاع لاوعي إيستر أن يعرف مثلاً أرقام النقود التي في جيب الساحر؟. وهذا ما حصل فعلاً! وكيف يستطيع لاوعيها أن يحفر الحائط ويكتب عليه «إيستير.. سأقتلك؟»، كيف

له أن ينفخ في البوق ليزلزل البيت؟ الحقيقة أن هذه النظرية تحتاج لبعض الاثباتات قبل إشهارها.

بعد مضي ربع قرن على هذه الظاهرة، وفي العام ١٩٠٧، توجه الباحث كارينغتون إلى المنطقة، وبدأ بحثاً طال الكثيرين ممن شهدوا اضطرابات منزل دانييل تيد، ووجد إيستير نفسها عجوزاً مقهورةً في زواجها. رفضت هذه الكلام إلا بعد أن قبضت من كارينغتون مئة دولار، لكن حديثها أتى دون أي قيمة. إلا أن المزارع دافيدسون اعترف أنه رأى إيستير مراراً تسير مرتفعة عن الأرض.

في العصور الوسطى، كان الارتفاع عن مستوى الأرض أحد علامات الامتلاك الشيطاني.. هذا دليل جديد يدعم مقولة أن الشياطين ليست سوى أشباح ضاجّة.

الفصل التاسع

بيوت مسكونة بالأشباح

عزبة ليتل كوت

تعتبر بريطانيا أكثر الدول المسكونة بالأشباح في العالم. قد لا يسكنها عدد كبير من الأشباح، لكن البريطانيين، بخلاف غيرهم، لا يمتنعون عن الكلام بل يسعون إلى إبقاء أشباحهم حية تتكلم.

أشباح ليتل كوت تذكر بحادثة تراجيدية حدثت في أيام الحكم الاليزابيثي. ففي القرن السادس عشر، عادت ملكية هذه العزبة إلى ويل داريل الشرير. في إحدى ليالي الشتاء القاسية في عام ١٥٥٧، أرسل داريل يطلب قابلة القرية السيدة بارنز لتحضر مخاض «زوجته». ما إن وصلت حتى اصطحبها سيد الدار إلى غرفةٍ غنيةٍ بالأثاث حيث وجدت سيدةً في المخاض، على وجهها قناع. وأكد لها داريل أن سلامة الوالدة والمولود تؤمن لها مبلغاً من المال جزيلاً يغنيها ويغني أولادها، وأن موت الوالدة يعني موتها. قامت المرأة المرعوبة بكل جهودها فتكلل عملها بالنجاح إذ وضعت المرأة صبياً، حملته إلى داريل فرحةً، فقادها هذا إلى حيث الموقد وأمرها برمي الصبي في النار. جثمت المرأة متوسلة أن يسمح لها بتربيته، لكنه

خطفه منها ورماه في اللهب. وفي اليوم التالي، أعيدت المرأة معصوبة العينين ـ كما أُتي بها ـ إلى لبيتها.

بينما كانت تنتظر أن يحين موعد خروج الطفل من رحم أمه، قصّت السيدة بارنز قطعة من قماش غطاء السرير وحاكته حتى لا يظهر ما قُطِعَ منه، حملت هذه القابلة هذا الدليل وقصدت القاضي المحلي لتصف له ما رأت داخل ذلك القصر، فتمكن هذا من تحديد اسم العزبة: ليتل كوت. لكن داريل أفلت من العقاب لغناه وتأثيره في المجتمع ولأنه رشا القاضي رشوةً هائلة.

لكن عدالة أخرى اقتصت من ويل داريل. ففي يومٍ كان ممتطياً جواده يعبر الغابة، وقع عن ظهر حصانه وانكسرت عنقه بحسب أهل القرية، ثمة شبحُ طفلٍ مغلفٌ باللهب يظهر دوماً مكان سقوط داريل. إنه الطفل الذي أحرقه في النار.

وفي داخل البيت نفسه، سُمِعَت صوات امرأةٍ وقابلةٍ قانونية وطفلٍ في الغرفة حيث كانت الحامل تضع وليدها، وفي غرفة

بقيت روح آن غريفيث، ابنة السير هنري غريفيث، تسكن الدارة الكبيرة التي بناها والدها، بورتون آغنيس هول، قرابة العام ١٥٩٠. أحبت آن بورتون آغنيس كثيراً، ولهذا طلبت وهي على فراش الموت أن يُقطع رأسها بعد موتها ويبقى داخل المنزل مالكون متعددون تعاقبوا على هذه الدارة رفضوا أن يطيعوا أمرها، وعندما نقلوا الجمجمة بدأت بالصراخ. وأدرك الناس أن ظهورها هائمة قرب المنزل يدل على أنها تحس بعدم الأمان لخروج الجمجمة من البيت. وفي العام ١٩٠٠، عمد مالكو المنزل إلى تثبيت الجمجمة داخل أحد الجدران كيما تُنقل بعد ذلك. ومنذ ذلك الحين، ندر ظهور شبح آن، أو أود نانس كما كان يسميها أهالي يوركشاير.

الاستقبال حيث الموقد الذي التهمت نيرانه الطفل البريء. كما يدعـي بعضهـم أنهـم رأوا وجـه القابلة المذعورة تحاول إنقاذ الوليد.

بيت قسّيس ياتيندون

لنضع جانباً الأشباح الذين ذهبوا ضحية العنف، ونتأمل في أولئك الذين سكنوا منزل القسيس الرائع في قرية ياتيندون الانكليزية. جزء من البيت بني في القرن الثامن عشر، وأكمل البناء عام ١٩٠٠ بعد تغييرات جذرية طالت البيت. شبحٌ من الشبحين اللذين سكنا هذا المنزل هو روح سيدةٍ عجوز سمحة الوجه، كانت تظهر متسلقةً سلماً أزيل أثناء التبديلات التي حصلت. إنه سلوك يشترك فيه معظم الأشباح، فقد يكون الحائط حيث يختفي الشبح مكاناً لبابٍ أزيل وسدّ منفذه.

تفاصيل حكاية منزل ياتيندون تظهر في كتاب «الأشباح» لدينيس باردن. فهذا زار البيت وتحدث إلى أربعة أشخاص رأوا الأشباح: القسيس السابق المحترم أ.ب. فارمر، وزوجته، وابنته وخادمتهم السيدة بارتون.

تقول السيدة بارتون إنها شاهدت الشبح الأصغر، وكان شبح فتاة جميلة ترتدي ثوباً فضياً يعود تصميمه إلى القرن الثامن عشر، ويحيط بها نورٌ مشعٌ لا يتركها. وتشاركها السيدة فارمر رأيها أن الشبح كان يمشي فوق مستوى الأرض.

كانت ظهورات هذه الآنسة أقل من ظهورات السيدة العجوز التي كانت ثيابها أيضاً تعود إلى القرن الثامن عشر: فستان أسود من الحرير يغطي عجزها الكبير، تحمل في يدها سلّة صغيرة، على

صدرها شال من الصوف، تعتمر قبعة تحتها منديل، وفوقها ربطةٌ تمتدّ إلى ما تحت ذقنها.

يبدو أن هذه السيدة كانت تعتني بالعائلة. «خلال التحضر لزواج ابنتنا، كما تروي السيدة فارمر، شوهدت هذه المرأة تتفقد التحضيرات في المطبخ». هل كان الشبح يعي ما يدور حوله؟ إن كان الجواب بنعم، فلم تسلقت سلماً غير موجود؟ لربما أحبّت السيدة هذا السلم عندما عاشت في البيت قبل قرنين من الزمن.

غادرت عائلة فارمر المكان، وسكنه قسيس جديد وعائلته لا اهتمام لهم بعالم الأرواح، فطلبوا من القسيس فارمر أن يوكّل أخصائي فيطرد هذين الشبحين.. فاختفيا.

كان منزل بورتون أغنيس من أجمل البيوت التي بنيت في العهد الاليزابيثي، لكنه كان مسكوناً بروح آن غريفين زوجة صاحب البيت وبنّائه عام ١٥٩٠. عندما كانت على فراش الموت، طلبت آن من زوجها الذي تحبّ أن يقطع رأسها بعد موتها ويبقيه في هذا البيت. ففعل. لكن سكان البيت الجدد هالهم هذا الأمر فقاموا بدفن الرأس قرب الجسد. إذ ذاك، بدأت الأصوات الصاخبة تعم البيت، وشوهد شبح آن قرب البيت، ففسروا ذلك أنها لا تشعر بالأمان خارج بيتها، فأعادوا الجمجمة إلى البيت ووضعوها داخل أحد الجدران، فاختفت الأصوات فوراً وندر ظهور ذلك الشبح.

دفنت جمجمة بيتيسكومب صانور مرة على عمق تسعة أقدام في الأرض، واعتقد مالك المنزل أنه تخلّص منها لكنه فوجىء في اليوم التالي إذ رأى أنها صعدت إلى سطح الأرض تنتظر إعادتها إلى المنزل.

عزبة بيتّيسكومب Bettiscombe

الجمجمة التي وجدت في عزبة بيتيسكومب دفنت تحت تسعة أقدام من التراب، بغية أن يتخلص صاحب العزبة منها، لكنها في اليوم التالي حفرت طريقها صعوداً لتعود إلى سطح الأرض منتظرة رجعتها إلى البيت.

في العام ١٦٨٥، نُفي صاحب عزبة بيتيسكومت أزارياه پينّي إلى الهند الغربية لأسباب سياسية. طاب له العيش في العالم الجديد وأصاب رزقاً وفيراً لكنه مات هناك. عاد حفيده، جون فريديريك، إلى العزبة مصطحباً معه رجلاً أسود ليخدمه. عامل پينّي عبده معاملةً لائقةً وعندما طلب منه إعادة جثمانه إلى أفريقيا بعد موته، وافق پيني برحابة صدر.

مات العبد، وما وفى الأبيض بوعده، بل دفعه في ساحة الكنيسة القريبة من العزبة. خلال الأسابيع التي تلت الدفن، تعذر على أهل العزبة إغماض جفنٍ بسبب حشرجات وصيحات ليلية. أخيراً، قام السيد بحفر القبر وإخراج الجثة وإعادتها إلى بيته، فتوقفت الأصوات.

بقي الجثمان في البيت لسنوات عديدة حتى اختفى في أحد الأيام تاركاً خلفه الجمجمة، دون أن يتمكن من فك أسرار هذا الاختفاء. حافظ السيد على الجمجمة وأبقاها في بيته، وخصوصاً بعد أن زاره زائر عام ١٨٤٧ وأكّد له أن لا أشباح تدخل هذا البيت طالما بقيت الجمجمة فيه. كان ذلك أول إشارة إلى قواها التي تتعدى الطبيعة.

عندما قام أحد المهتمين باستكشاف البيت عام ١٩٦٠، وجد أن الأهالي يقصون الكثير من القصص التي تدور حول الجمجمة.

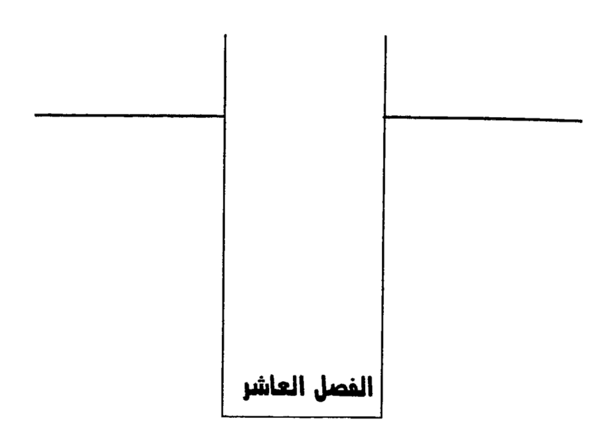
فعلم أنها أزيلت مرّات عديدة من الدار فتحدث عندئذٍ الكوارث: يغرق سيل الأمطار المحصول وقت الحصاد، أو يموت قطيع كامل من الماشية. وأكدوا له أن كل ساكن في العزبة أخرج منها الجمجمة مات قبل انقضاء السنة.

بقيت ذكرى العبد الأسود في مخيلات القرويين. لكن القصة تقول إن السيد عامل عبده معاملة حسنة.. ما هي الحقيقة إذاً؟ تخاريف أخرى تقول إن صاحبة الجمجمة حسناء بيضاء اللون سجنت في الدار وقتلت فيها.

وعندما قام أحد الجراحين - البروفيسور جيلبيرت كوزي - بالكشف على هذه الجمجمة قال إنها تعود لامرأةٍ عاشت قبل التاريخ الحديث.

مالك العزبة الآن، مايكل پيني، يصر على الابقاء على الجمجمة داخل البيت، وقد أصابه وزوجته الهلع عندما أتاهم زائرٌ بعد الحرب الثانية وسألهم: «هل رشحت دماً عام ١٩٣٩ كما فعلت عام ١٩١٨؟».

في واردلي هول، قرب مانشيستر، يفترض أن يكون صاحب الجمجمة كاهناً كاثوليكياً أعدم عام ١٦٤١ بتهمة الخيانة. فبعد سجنه في برج إحدى كنائس مانشيستر، قطعت رأسه ونقلت إلى واردلي هول، حيث حفظت لسنوات. أدت محاولات دفنها إلى حدوث عواصف واضطرابات أخرى. وعندما رميت مرة في أحد الآبار، يؤكد صائد الأشباح إيريك مايل أنها وجدت طريق العودة إلى واردلي هول.



الفصل العاشر

أشباح غلافيس

قصر غلاميس

يعتبر قصر غلاميس في سكوتلاندا أكثر البيوت استقبالاً للأشباح في البلد، إلى جانب شهرته التي استقاها من شكسبير الذي جعله القصر حيث قتل ماكبيث دانكن. يُضاف إلى ذلك الأساطير التي حيكت حوله كأسطورة وحش غلاميس الذي ولد في اللايدي ستراثمور وحُبِسَ في أحد غرف القصر سراً طول حياته. لكنهم كثرٌ من رأوا السيدة الرمادية الصغيرة التي تهيم في قبة القصر دون أن يعرف أحدٌ عنها، كما رآها أفراد عائلة ستراثمور مرّات عديدة جاثمة على أحد المقاعد الخشبية. إلى جانب هذه الأخبار، يبدو أن في غلاميس شباً ضاجّاً يصرّ على أن يتسبّب بأصوات صاخبة في الرابعة صباحاً.

أدرج اللورد هاليفاكس في كتابه «كتاب الأشباح» (Gosat book) فصلاً كاملاً يتناول فيه قصر غلاميس حيث استقر لمدة طويلة من الزمن واللورد هاليفاكس هذا هو شارلز وود ابن أحد رؤساء الوزارة البريطانية، لكنه ما اهتم أبداً بالسياسة بل توجه صوب الأديان، كما صرف وقتاً في تجميع قصص الأشباح دون أن يدخل رابطة البحث العقلاني.

يعتبر تقريره عن «سرّ غلاميس» تقريراً موثوقاً به لصلة القربى التي تصله بصاحب القصر.

في العام ١٨٧٠، التقينا الآنسة فيرجينا غابرييل فور وصولها من زيارة طويلة إلى قصر غلاميس مليئة بالغرائب التي اعتبرتها أمراً طبيعياً بعد وفاة قريبنا صاحب القصر عام ١٨٦٥، لقد تم تنظيف المصلّى في القصر لكن الكلام تمحور حول نية الأشباح إرهاق اللورد ستراثمور (كلود) وعائلته فلا يتخذون من القصر مسكناً.

سأحاول إثبات كل ما قالته فيرجينيا وما عادت لتؤكده اللايدي ستراثمور. بعد دفن صاحب المنزل، أخبر المحامون كلود عن سرّ المنزل، فأتى هذا زوجته وأخبرها أنه عرف سرّ الغرفة



في حلقة للشعوذة سنة ١٩٢١ الحضور يمسك بيدي ويلي شنايدر.

الغامضة ودخل إليها، طالباً منها الكتمان الشديد. لكن هذه نشرت الخبر وأوصلتها إلى والدتها ـ السيدة أوزوالد سميث ـ التي كانت من أهم «ناقلي الأخبار» فلم تخبىء في قلبها ولو جزءاً صغيراً من الخبر.

غيّر كلود وبدّل في القصر ليحسّنه، وطلب بناء سلّم ينطلق من الردهة السفلى حتى المصلى والمذبح في الطابق العالي. وبينما كانت العائلة في لندن، قام أحد العاملين بفتح بابٍ في المصلى أدى به إلى ممر طويلٍ فأخبر القيّم على العمال. لم يتردد هذا أبداً، بل هتف إلى كلود في لندن وإلى المحامي السيد دوناس في إدينبرغ، فوصلا سريعاً وأخضع العامل لاستجواب قاسٍ عما رأى وما لم يرَ، ثم رُحّل العامل وعائلته نهائياً عن المنطقة.

وتروي فيرجينيا أن في غرف النوم خزانات صغيرة فيها حجارةٌ حولها خواتم، لكن كلود حول كل هذه الخزائن إلى مستودعاتٍ للفحم وأمر أن تبقى مليئة لا تفرغ أبداً. وأخبرتنا عن تلك الليلة في تشرين الأول ١٨٦٩ عندما امتد الرقص والمرح حتى الفجر، وتوزع الضيوف على غرف القصر للنوم. شغل السيد مونرو وزوجته الغرفة الحمراء ونام ابنهم الصغير في غرفة الملابس. في منتصف الليلة التي تلت، أفاقت السيدة مونرو بعدما شعرت أن أحدهم ينحني فوقها، وأن لحية ما لامست وجهها. وبما أن الشمعة قد انطفأت، طلبت من زوجها القيام لإنارتها من جديد. في نور القمر الخفيف لاحظت ظلالاً تتقدم نحو غرفة الملابس، فمدت يدها إلى الطاولة بقربها لتقع يدها على علبة الكبريت. نادت زوجها أن يعود وأضاءت الشمعة، لكنها فوجئت به نائماً. في اللحظة نفسها، دوى صراخٌ خائفٌ من غرفة الملابس حيث ولدهما، فهبا إليه ليجداه مرعوباً يتمتم أنه رأى مارداً في الغرفة. عادا به إلى غرفتهما

يحاولان تهدئته، لكن صوتاً آخر دوّى وكأنه صوت ارتطام قطعة أثاثٍ بالأرض. في هذه الأثناء، كانت ساعة القصر تدق الرابعة.

عادت السكينة إلى البيت حتى الصباح، فانتزع السيد مونترو من زوجته وعداً بألا تروي ما حدث لهم احتراماً لأصحاب البيت. لكنها روت الحادثة بعد أن سبقتها سيدة أخرى قالت إن كلبها الأمين أيقظها ليلاً وهو ينبح خوفاً، فوجدت الضوء الليلي مطفأً وسمعت صوت ارتطام عظيم عند الساعة الرابعة فجراً.

وفي الليلة التالية، تكرر صوت الارتطام المتزامن مع دقات الساعة الأربع. وفي إحدى المرّات زرنا قصر توللياﻻن إذ دعاني صاحباه اللورد واللايدي ويليم أوسبورن. وفي ليلة الثامن والعشرين من أيلول حلمت أني نائمة في الغرفة الزرقاء بقصر غلاميس. ثم حلمت أني في فناء القصر أشاهد الخيل، عندما سمعت جرس الغداء فأسرعت إلى غرفة الطعام. وفي الممر التقيتُ بإحدى الخادمات تحمل قطعة من الحديد الصدىء. ولما سألتها عن مصدرها قالت إنها وجدت حجارة حولها خواتم فرفعت واحدة لتجد تحتها هذه القطع الحديدية. فأخذتها إلى غرفتي. وهناك افتكرت أن الأشباح تظهر لمن يجد شيئاً، فجلست قرب الموقد على كرسي الهزاز أنتظر، فرأيتُ شبح رجلٍ عظيم بطينٍ بلحيةٍ طويلةٍ كثةٍ. قمت، برغم الرعب الذي أصابني، وحدّقتُ في الرجل الواقف قبالتي. كان يتنفّس تنفساً ثقيلاً، لكن وجهه كان وجه رجل ميتٍ. خيم الصمت قليلاً، فأمسكت بالقطع الحديدية وقلت له: «انظر ماذا وجدت» فأجابني الشبح: «لقد رفعتِ هذه الأثقال عني، فهي تثقل كاهلي منذ... منذ عام ١٤٨٦!!

وفي تلك اللحظة، سمعت طرقاً على الباب.. صرخت: «أدخل»، واستيقظت. كانت الخادمة كارولين تفتح الستائر،

فنهضتُ عن السرير لأجد قميص نومي مبلّلاً بالعرق. حاولت أن أتذكر الغرفة الزرقاء، فكانت كما حلمت بها لكن الموقد قد كان في زاوية أخرى. عندما زرت القصر بعد ذلك، فوجئت أن ذاكرة حلمي هي الصواب، وذاكرة وعيي هي الخطأ.

بعد سنة أو سنتين، التقى أخي إريك بالسيّدة وينغفيلد فسألته عني وعن حلمي، إذ كانت هي تنزل في الغرفة الزرقاء في قصر غلاميس في الأسبوع نفسه حين كنت نزيلة قصر توللياالان (Tullyallan)، إن لم يسعني القول في الليلة نفسها. ففي تلك الليلة، نامت في الغرفة الزرقاء مبقية الضوء منيراً لتقرأ قليلاً قبل النوم. وقرابة منتصف الليل استيقظت وفي نفسها احساسٌ بوجودٍ غريبٍ في الغرفة. كان الرجل العظيم الملتحي نفسه جالساً قرب النار، لكنه اختفى سريعاً، فعادت إلى النوم.

إن المصادفة مثيرةٌ للفضول فعلاً. وبعد سنوات قليلة، كنا ننتقل من غلاميس إلى كورتاكي حين سألتني أمي إن كنت أخبرت اللايدي ستراثمور بحلمي، فأنكرت إلا أنها أصرت أن اللايدي تعرف تفاصيل الحلم، لكننا نختلف في التاريخ بين ١٤٨٦ و١٥٨٦.

بعد عام ١٨٧٠، ازدادت زياراتي إلى قصر غلاميس إذ كانت أمي تحتفل بذكرى ميلادها سنوياً في هذا القصر. وفي إحدى السنوات، لا أذكرها الآن، وصلنا القصر لنجده في هرجٍ ومرجٍ إذ ظهرت «اللايدي البيضاء» على اللايدي ستراثمور وقريباتها وعلى اللايدي غلاسغو في مواضع مختلفة لكن في وقتٍ واحد.

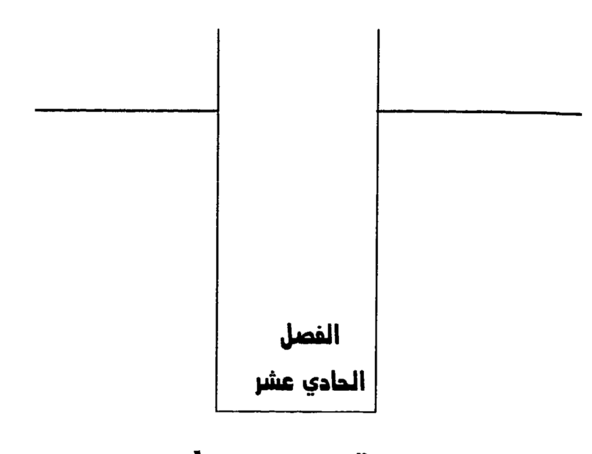
وينقل أيضاً أن الطبيب نيكولسون كان نائماً في الغرفة التي في وسط السلم ذات ليلة عندما زاره شبح طويل القامة ممشوقها يرتدي معطفاً طويلاً أسود وبوطاً عند أسفل العنق، واختفى دون أن يتكلما

وعندما روى الطبيب ذلك للأسقف الذي كان من زوار القصر سخر منه وبدأ يلفق عليه الفكاهات الساخرة.

وفي الليلة التالية، بات رئيس كنيسة بيرث ليلته في تلك الغرفة، فزاره ذاك الزائر نفسه فحمل نيكولسون الخبر وطار إلى الأسقف فصدق هذا وعرض طرد هذه الأرواح، لكن كلود رفض خوفاً.

بعد مرور سنوات طويلة، زرت القصر عام ١٩١٢ برفقة ابنتي دورا. وكانت تلك زيارتي الأولى بعد وفاة كلود. لم يمتنع ابنه، المالك الحالي، أبداً من التحدث بشأن الأشباح، كما طلب وزوجته أن يحتفظا بنسخةٍ مفصلةٍ عن الحلم الذي راودني، دون أن يتحرّجا من القول إنهما سعيدان بتلك الأرواح التي تشاركهما هذا المنزل الفسيح.

استمر ظهور الأرواح في غرف المنزل، فكان الزوار يختلفون بين خائفٍ ومطمئنٍ، كما قام مالك القصر بتغيرات أدت إلى سهولة الدخول إلى الكنيسة وغرفة الكتابة.



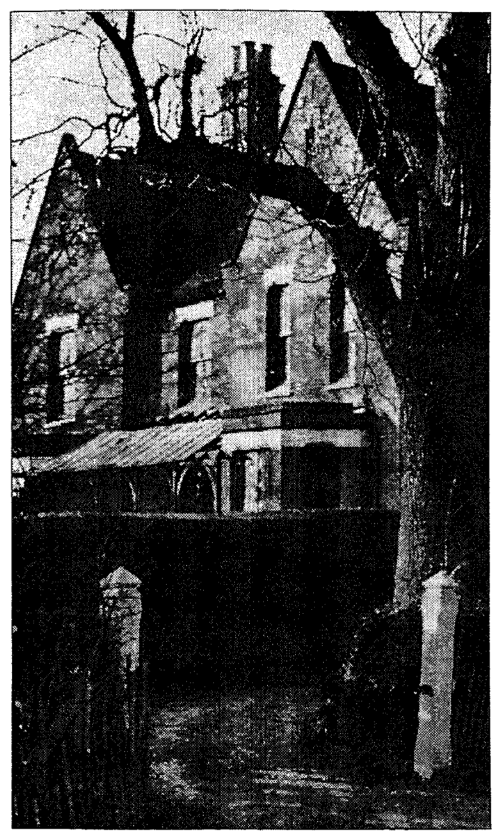
الفصل
الحادي عشر

بيت قسّيس بورلي
(BORLEY)

صائد الأشباح الشهير

أشهر البيوت البريطانية المسكونة بالأشباح هو بيت قسّيس بورلي. ويعود الفضل في اشتهار هذا البيت إلى صائد الأشباح الشهير، هاري برايس. ابتدأ برايس بتطوير ميوله الروحانية في سن الثامنة عندما بدأ العمل مع أحد السحرة في السيرك. وبعد سنوات، جمع برايس كتاب السحر وصار من كبار العاملين في هذا المجال، وانضم إلى رابطة الأبحاث العقلية عام ١٩٢٠، وكانت هذه حصرت عملها في كشف خداع بعض الوسطاء الروحيين. ذات يوم، دعا رئيس الرابطة دينغوال Dingwall هاري برايس لمرافقته إلى ميونخ وحضور جلسات روحية يقوم بها وسيط الماني مميز هو ـ ويلي شنايدر ـ أحد الأخوين شنايدر.

الأخوان شنايدر ـ ويلي وررودي ـ وصلا إلى هذه المرحلة بعد أن تعرّضا لتجربة الشبح الضاج، فلحقت بهما الأصوات والصخب والأثاث المتحرك والصحون المتكسرة والأسرّة الطائرة حتى ظهر الشبح وكان شبح فتاة اسمها أولغا ليندتز المتقمصة في المدعوة لولا مونتيز. وبعد قليل، ذهب ويلي في نشوة روحانية فتكلمت أولغا



معبد ريكتوري

من خلاله. ورغم تشكيك برايس الذي احتد نقاشه والأخوين، بقيت الظاهرة بعيدة عن الشك بل ملتصقةً باليقين. يروي الروائي توماس مان الذي حضر إحدى الجلسات أن الامساك بيدي ويلي وبقدميه لم يمنع الفوطة القماشية من الطيران في سماء الغرفة أو الجرس من الرنين.

شهد برايس ودينغوال ظواهر أخرى كأن تتجسد أمامهما يدٌ بيضاء، فاقتنعا بحقيقة هذه الظواهر وقدما تقريراً إلى الرابطة يثبت ذلك. لكن برايس، ليضمن لنفسه الربح على كل الجبهات، ساعد في إصدار كتاب عنوانه «اعترافات وسيط روحاني» وفيه يفصل أحد الوسطاء الكذبة الخدع التي يمكن الاعتماد عليها في هذه الصنعة.

أما القضية التي التصق بها اسم برايس فكانت قضية بيت القسيس في بورلي، كما يبقى هذا البيت الأكثر شهرة عند التطرق إلى موضوع الأرواح التائهة.

البيت المقصود بني عام ١٨٦٣ في عهد الأسقف هـ. بولّ (H. Bull). صعبٌ جداً تحديد الظاهرة الأحدث، لكن الآراء تجمع على ظهور شبح راهبة أثناء سكن «بولّ» في هذا المنزل. وكان هنري بول نفسه يعرف أن هذا البيت بني في مكان دير للبنديكتيين، ويعلم حق العلم بالأسطورة القديمة أن راهباً وراهبةً من هذا الدير حاولا الهرب إلا أنهما وقعا في أسر القيمين على الدير وقتلا. ويقال إن الراهبة قتلت رجماً بالحجارة. وتؤكد ابنة هنري بول، أثيل، في رسالة إلى الباحث الروحي تريغور هال عام ١٩٥٣، أنها أفاقت من نومها لتجد رجلاً غريباً يقف بذيل سريرها، كما أحسّت مراراً بشخصٍ ما يجلس قربها على السرير. كذلك،

أخبرت بيتر أندروود أنها رأت وأختها في ٢٨ تموز ١٩٠٠ صورة راهبة تتمشى في البيت. إلسي، أخت أثيل، تؤكد أن الراهبة بدت حقيقية بلحمها، اختفت عندما همت بسؤالها عن مرادها.

بعد موت المحترم هنري بول، ورث ابنه المحترم هاري بول البيت معترفاً أنه رأى أشباحاً متعددة. ابنة هاري بول كتبت إلى برايس تخبره أن والدها رأى قدمين تمشيان في الحديقة فلحق بهما، فكان شبحاً غير كاملٍ اختفى خلف الباب الكبير دون أن يفتحه.

توفي هاري بول عام ١٩٢٧، فبقي منزله فارغاً حتى ١٩٢٨ حين انتقل إليه المحترم غي سميث وزوجته.

في إحدى الليالي العاصفة، رنّ جرس الباب رنيناً متواصلاً، لكن سميث لم يجد أحداً بالباب. وبعد ذلك، وقعت مفاتيح كل

بخلاف الكتّاب الذين يتلقّون الوحي من الأرواح، تلقى الصحفي البريطاني في القرن التاسع عشر ويليم ستيد وحيه من الأحياء ووفّر عليهم مشقة الكتابة بنفسهم. فيسأل أسئلة عقلية فتكتب يده أوتوماتيكياً الإجابات، فيصل إلى معرفة أمور تخفى على أصحابها وتتجاوز ما يطلبه أصدقاؤه.

مرة، نظم غذاءً حميماً مع امرأة كانت خارج البلدة في نهاية الأسبوع. فسأل إن كانت عادت إلى لندن، فتولت يده تسطير بيانٍ طويل فيه وصف لحادث حصل على القطار، إذ وجدت المرأة نفسها وحيدة مع رجل غريب في مقصورة واحدة. تقدم منها وجلس قربها ثم حاول تقبيلها. صدّته وتناولت مظلّته وضربته بها فكسرتها. وعندما توقف القطار فرّ الرجل. وعندما أرسل ستيد خادمه إلى منزل صديقته يحمل رسالة مؤاساة صُدمت وقالت: «قررت ألا أخبر أحداً حول الحادثة»، وأضافت: «كانت تلك مظلتي، لا مظلّته».

أبواب البيت على الأرض، ثم اختفت، وبعد أيام، بدأت عائلة سميث تسمع وقع خطى على الأرض، وتلاحظ أن أنوار المنزل تضاء ثم تطفأ دون أن يكون لهم دورٌ. يقول السيد سميث إنه سمع وشوشة في الردهة الموصلة إلى الكنيسة: «لا يا كارلوس، لا تفعل». قررت العائلة الاتصال بجريدة Daily Mirror، فأرسلت هذه هاري برايس للتحقق من الأمر وذلك لاهتمام الجريدة بقصص البيوت المسكونة. لكن سميث رفض القول إن المنزل مسكون واتهم الجريدة تلك وهاري برايس بالسعي وراء الشهرة.

في تشرين الأول من عام ١٩٣٠، انتقل المحترم ل. فويستر وزوجته الشابة إلى هذا البيت. وهذا الثنائي كان نازلاً في مسكنٍ قريبٍ من آخر سكنته الأشباح فأقلقت راحة الجميع. وها هنا تتجدد تجربته والأشباح الضاجة. وكان فويستر يحتفظ من تجربته القديمة بمدونات فيها كل مشاهداته المتكررة، الآن: الأجراس التي ترن والأبواب التي تنصفق والماء الذي يسكب فوق النائم على السرير والصخب المغلق. كما شاهد فويستر وزوجته ماريان عدداً من الأشباح بينهم راهبةٌ وراهبٌ، كما وصف المحترم هنري بول، باني المنزل.

أحد البحّاثة ـ اسمهُ غي ليسترانج ـ زار بورلي بناءً على طلب آل فويستر، فرأى شبحاً قرب النافذة لم يميزه، فاقترب منه لكنه ـ الشبح ـ اختفى كأنه لم يكن. وأفاقت ماريان فويستر في صباح أحد الأيام لتجد ندبة في جبهتها وكأنها صورة لقبضة رجل. وفي اليوم نفسه، ضج البيت بالصخب وبرنين الأجراس وبالضربات المتتالية، فوقف غي ليسترانج في وسط الغرفة صارخاً: «إن كان أحداً موجوداً هنا، فأرجوك التوقف عن هذا الصخب قليلاً». فتوقفت الأجراس فوراً. وفي المساء، كان ليسترانج جالساً قرب

الموقد، فسمع وقع خطى خلفه، لكن أحداً لم يكن خلفه.

في اليوم التالي، بدأ القسيس وأعوانه الصلاة في الكنيسة، وداروا في أرجاء المنزل حاملين الصلبان. وبات الجميع ليلتهم في الغرفة حيث توفي هنري بول وآخرون وطلبوا من الأشباح ألا تزعج أهل البيت ثانية. خف الصخب مؤقتاً ثم عاد إلى ما كان عليه.

في العام ١٩٣٥، قرر آل فويتسر الرحيل عن هذا المكان المرعب، فاستأجره برايس يرافقه فريق من الباحثين والمفتشين في شباط ١٩٣٩. لكن الظواهر استمرت في أطلاله.

في آب ١٩٣٤، قرر برايس أن يحفر هذا المكان، فوجد بعض العظام الآدمية وجمجمة تدل على أن صاحبها مصاب بمرضٍ في أسنانه، فردّ إلى ذلك ظهورُ الراهبة تعسة الوجه منهكة.

بدا أن الأرض هناك مسكونة، ولا تزال. بورلي مستقرٌ للقوة يجدر أن يُبنى فيه ديرٌ. يروي أندرو غرين في كتابه «مملكتنا المسكونة» زيارته وبعض أعوانه في مجموعة البحث العقلي إلى بورلي عام ١٩٥١.

«أمسك أحد معاوني بساعدي ووقف مرعوباً مشدوهاً ثم بدأ يصف لي الشبح المنتصب أمامه. كان امرأة في رداء أبيض تمشي الهوينا. كان مرعوباً يتنفس بسرعة.. فما استطعت رؤية الشبح».

باحثٌ آخر هو ستيفن جنكينز يروي ما يلي:

«التقطت لي زوجتي صورة كنت فيها أسند ظهري إلى جدار كنيسة بورلي الجنوبي، في العاشرة من صباح الأول من أيلول عام ١٩٧٩. وعندما ظهّرنا الصورة وتم تكبيرها لاحظ كل من رآها الوجه غير الواضح المعالم بين الأشجار.

كانت الوسيطة البريطانية روز ماري براون أنتجت الكثير من المعزوفات الموسيقية ادعت أنها أمليت عليها من قبل أعلام الموسيقى الذين اختاروا هذه الطريقة ليبرهنوا أن أرواحهم ما تزال على قيد الحياة. وكانت تفضّل موسيقى بيتهوفن، لهذا اتفقت معه في مشروع يستغرق إنجازه سنوات طويلة: «السيمفونية العاشرة». تشابه المعزوفة التاسعة الرائعة.

بفضل كتابة هذا العمل الجديد سيتمكن بيتهوفن من سماعه. هذا ما أكّدته روزماري براون. وفي مذكراتها «السيمفونية الناقصة»، تؤكد أن بيتهوفن شفي من الصمم، «فهذه الآفات البشرية تغادرنا ما إن ننتقل إلى العالم الآخر». إن روح بيتهوفن أقل عصبية مما كانت في حياته، لكنه ما يزال مثيراً للرعب، حتى أن روز ماري ارتعبت حين كلمته في المرة الأولى. تلقّت موسيقاه من طريق التخاطر وحصلت على أفكاره كتابة.

وبعد أيام، كنتُ وزوجتي ثيلما في السيارة على الطريق الراحل عن بورلي حين فوجئنا ببعض الأشباح تحمل كفناً يعود تطريزه إلى القرن الرابع عشر. فتوقفنا وكتب كل منا ما شاهده. تطابقت أقوالنا إلا في بعض التفصيلات البسيطة جداً. لكنّ أحداً لم يتكّلم أبداً عن جنازات الأشباح».

لطالما اتهم برايس بأنه مخترع أشباح بورلي، لكن مشاهدات الناس الآخرين، قبل برايس وبعده، تبعد عنه هذه الشبهة... وتبقى أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات.

بعض الكتاب يتلقى رسائل روحية من الأموات، وبعضهم ـ مثل الصحافي البريطاني ويليم ستيد ـ كان يتلقى رسائل من الأحياء فيكتبها عنهم. في أحد الأيام كان على موعدٍ مع إحدى النساء فقرر أن يعرف إن كانت وصلت لندن. فتساءل فكرياً

وبدأت يده تكتب الاجابة. كانت هذه طويلة تصف تفاصيل اعتداءٍ تعرضت له المرأة في القطار إذ حاول أحد الرجال اغتصابها لكنها أفلتت منه وضربته بشمسيته وكسرتها على رأسه. وعندما أرسل ستيد خادمه إلى بيتها مع رسالة يواسيها فيها إثر الاعتداء، صُدِمت هذه وردّت «لم أشأ أبداً الكلام على هذه الحادثة، لكن الشمسية لي وليست له».

في ليلة من ليالي ربيع عام ١٩٤٨، أفاق إيرسون السويدي فوجد شبحاً أبيض اللون واقفاً قرب سريره، لكنه لم يخف منه بل بدأ يحادثه فيرد الشبح بلغةٍ لم يفهمها رغم أنها اللغة الانكليزية، واستعانة ببعض الطرق، عرف ايرسون أن اسم الشبح برايس.

لم يقصر برايس ظهوره على ايرسون بل ظهر على زوجته وابنته، لكن مساعي تصويره لم تنجح أبداً.

برايس دفع بإيرسون إلى الذهاب للمستشفى ليعالج نفسه من مرضٍ غريبٍ، وهناك التقى بطبيب نفساني حكى له عن صديقه الشبح برايس. عرف الطبيب أن هذا هو هاري برايس الذي صرف عمره في البحث عن قصص الأشباح، وليتأكد أرسل إلى رابطة البحث العقلي سائلاً عن تاريخ وفاة برايس. كان ذلك في ٢٩ آذار ١٩٤٨.. في نفس الأسبوع الذي ظهر خلاله على السويدي إيرسون.

1

أخبار غريبة وأسرار عجيبة

١- غزو الاشباح

٢- المشعوذون

٣- الصحون الطائرة

٤- الكوارث العالمية

٥- قصص عجيبة غريبة

٦- فضائح العائلات المالكة